

المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
القاهرة



شاهد من حياة الرسول

(صلى الله عليه وسلم)

للشيخ مأمون غريب

يصدرها: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة

العدد ١٩٢

اهداءات ٢٠٠٢

أ/ثروت اباطة

القاهرة

المكتبة الأميرية (القاهرة)

ترتد من المكتبة

مع جن وتقدرى

نمبره ٢٢٢
٩٤٧/٤/٨

٢٩٧.٦٣

عربي

كتب إسلامية

يصدرها

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

القاهرة

مشاهد من حياة الرسول

(صلى الله عليه وسلم)

للأستاذ مأمون غريث

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

مكتبة الاسكندرية

المعدد ١٩٢

السنة السابعة عشرة

١٥ من ربيع الاول سنة ١٣٩٧ هـ

٥ من مارس سنة ١٩٧٧ م

يشرف على إصدارها
محمد توفيق عويضة



الله

جل جلاله



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » .

« قرآن كريم »

روى ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ان الله خلق الخلق ، فاختار من الخلق بنى آدم ، واختار من بنى آدم العرب ، واختار من العرب مضر ، واختار من مضر قريشا ، واختار من قريش بنى هاشم ، واختارنى من بنى هاشم . فانا خيار من خيار من خيار » .

(حديث شريف)



مقدمة

كان من منتهى آمالي أن اكتب دراسة مبسطة عن حياة النبي الكريم محمد عليه الصلاة والسلام ..

وكان املى أن تكون هذه الدراسة موضوعية بعيدة عن شطحات الخيال التي ملأت كتب السيرة ، وفي نفس الوقت خالية من الأساطير التي وجدت أيضا في بعض الأعمال التي تأثر كتابها بلا وعى بالاسرائيليات كما أنني لاحظت أن بعض الكتب التي كتبها أدباء كبار عن السيرة امتلأت هي الأخرى بالخيال الذي قد يفرضه الطابع الأدبي حتى تأتي السيرة في اطار مشوق جذاب .

لقد قرأت عشرات الكتب التي تناولت السيرة في مختلف العصور . كما قرأت في نفس الوقت أقوال ودراسات بعض المستشرقين قرأت السيرة الطلبية لعلى بن برهان الدين الحلبي ، والسيرة النبوية لابن هشام ، وعشرات من الكتب القديمة والحديثة التي تناولت هذا الموضوع ، وقد لاحظت أن معظم دراسات هؤلاء المستشرقين تهمل بالحقد على نبينا الكريم ، ومن هنا جاءت هذه الدراسات بعيدة عن الموضوعية ، وإن كان البعض منهم — وقد بهرتهم شخصية الرسول — لم يستطع إلا أن يحنى قامته اجلالا لهذه الشخصية المبهرة فجاءت دراساتهم منصفة لهذا الذي ملأ الأرض نورا وعدلا ، ورحمة وسلاما .

وأمام الدراسات الكثيرة التي قراتها عن النبي الكريم وجدت بي شوقا عظيما أن اكتب دراسة مبسطة عن السيرة .. لأنه من

الصعب على القارئ العادي اليوم أن يقرأ المطولات عن حياة الرسول ، ودار في ذهني تساؤل .. لماذا لا أكتب هذه الدراسة بحيث تعطى للقارئ صورة عن النبي الكريم دون الدخول في تفاصيل ، لا تنفع إلا المتخصصين من ناحية ، ومن ناحية أخرى تكون هذه الدراسة مكثفة وموضوعية .. بعيدة عن شطحات الخيال التي ظهرت في الكتب التي ألفها بعض كبار الأدباء المعاصرين ، وبعيدة في نفس الوقت عن الأساطير والاسرائيليات التي امتلأت بها الكتب القديمة التي تناولت حياة الرسول .

ولقد دفعني الى هذه الدراسة محاولة وضع خطوط تحت أحداث هزنتي في السيرة .. كما أن حياة الرسول قد هزنتي من الأعماق في بداية حياتي ، وأنا على أبواب الشباب .. في هذه الفترة مررت بمرحلة قاسية . أعتقد أن كل شاب مر بها في محاولة البحث عن الحقيقة ، ودارت في ذهني علامات استفهام كثيرة كلما حاولت أن أعرف كنه نفسي — أن أعرف أسرار العالم المحيط بي ..

من أنا ؟

كيف جئت ؟

ولماذا جئت ؟

ما الهدف من هذه الحياة ؟

ما وراء هذه الحياة ؟

ما هو الوجود ؟

ما هو المعدم ؟

.. أسئلة كثيرة حائرة عذبتني كثيرا ، ووجدت أن هذه الاسئلة الحائرة تبادرت الى أذهان الناس في مختلف عصور التاريخ ..

وتساءلت هل يمكن أن أعرف ؟ وما دليلي الى هذه المعرفة ، ووجدت أنه من الصعب أن أتوصل الى معرفة الحقيقة — فلا العقل البشري بقادر بوسائله البسيطة أن يستوعب أسرار الوجود ،

ولا بقدرة الانسان بإمكانياته المتواضعة أن يدرك سر الحياة
والموت .. !!

أخذت أسبح في بحار الفلسفة فلم تزدني الفلسفة الا حيرة
وكلما طرحت علامة استفهام كانت الإجابة علامة استفهام اشد
غموضا ..

وزادت حيرتي ،

وطال عذابي ، وعندما كنت اقرأ كتب العلم يزداد اقتناعي
بأن العلم ليس بقدرته أن يجيب على هذه الأسئلة الحائرة التي
تدور في ذهني ، وفي أذهان الآخرين ..

**ان (نيوتن) العالم الكبير : مكتشف قانون الجاذبية يقول في
أخريات حياته :**

« لست أدري كيف ينظر العالم الى ولكني أترأى
لنفسى كما لو كنت غلاما يلهو على شاطئ البحر ،
وأسلى نفسى بين الحين والآخر بالعثور على حصاة
أكثر ملامسة أو صدفه أجمل من المعتاد ، بينما كان
محيط الحقيقة العظيم يمتد أمامى دون كشف ! »
وترأت لعالم كبير من علماء الطبيعة وهو شرنجتون »
قوله :

« لقد أصبح بقدرة العلم أن يفسر الحياة باعتبارها
تنفسا وحركة ، ونموا وتوالدا ، وتحليلا للأغذية
في الأنسجة .. الخ

ذلك أنه لا يوجد شيء من هذه الظواهر لا يقع تحت
سلطان العلم .. انها كيميائيات وطبيعيات ولكن هذا
الشيء الآخر المصاحب للحياة وهو الفكر يهرب
من دائرة العلم الطبيعى ، ويظل بعيدا عنه ، حتى
لقد بدأ العلم الطبيعى يتجاهله باعتباره شيئا يخرج
عن دائرة بصره ، وبهذا نشأ فارق أساسى بين

الحياة والعقل — فالحياة موضوع للكيمياء والطبيعة
أما العقل فيهرب منها . بحيث يمكن تلخيص الانسار
في أنه يتألف من طاقة وعقل »

وهكذا أعلن العلم افلاسه في فهم العقل !! وما أكثر ما قرأت
من دراسات لعلماء أعلنوا عجز العلم عن فهم الكثير جدا مما يحيه
بنا من أشياء .

وإذا كانت الفلسفة لم تتشف غلبي للمعرفة ، وكذلك العلم
فلقد لجأت الى الدين وقرأت التوراة والأنجيل والقرآن ، واخذت
أدرس حياة الرسول ، وكلما وقفت أمام بعض الأحداث التي مرت
به عليه الصلاة والسلام كلما ازدادت اقتناعا بصدقه وعظمته ..
يموت ابنه ابراهيم ، ويحدث كسوف في الشمس ، ويعتقد البعض
أن هذا الكسوف مشاركة من الطبيعة في أحزان محمد .. ويسأله
بعض الناس ، وهو في أشد الحاجة أن يؤمن به هؤلاء الذين
ساموه العذاب .. هل هناك علاقة بين هذه الظاهرة وموت ابنه
.. فيجيب بكل الايمان :

« ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان
لموت أحد أو حياته » !

وبكل هذا الايمان العميق يقول :

« بعثت الى الناس كافة .. فان لم يستجيبوا . لى
فالى العرب — فان لم يستجيبوا لى ، فالى قريش .
فان لم يستجيبوا لى فالى بنى هاشم ، فان لم
يستجيبوا لى فالى وحدي ! »

ومن احاديث الرسول ، ومن سيرته : نرى أنفسنا أمام انسان
لا يعرف الادعاء . انسان صادق . يمشى في الأسواق ، ويجرى
عليه ما يجرى على أى انسان نزل عليه قرآن كريم يستحيل أن
يكون من صنعه ، فكيف ؟ وهو الأملى يأتي بهذا البيان الساحر .
كما أن القرآن الكريم في حديثه عن ظواهر الكون ، وعن تاريخ الأمم

السابقة شيء مبهر معجز . لا يمكن أن يكون كلام بشر . انه كلام الله سبحانه وتعالى :

« ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » .

والذى يشرح الله صدره للايمان يشعر بهذا الشعور الرائع الذى لا يشعر به الا المؤمنون — الشعور بالأمن والأمان — الشعور بالراحة النفسية — ايمانه يجعله يرى الدنيا من خلال منظار بهيج . ويجعله يفلسف الحياة وما فيها بما يتوافق مع المبادئ العظيمة السامية التى نادى بها نبي الاسلام .

وبالطبع من الصعب كتابة السيرة بتفاصيلها .. فهذا يعنى كتابة مجلدات . كما تحتاج الى عمر طويل ، ولكنى هنا فقط أثير مجرد اشارة الى بعض مشاهد من السيرة العطرة وعندى مطمح فى شيء واحد .. مثوية الله ورضاه ..

المؤلف

طفولة محمد

(صلى الله عليه وسلم)

ما من مرة قرأت عن طفولة النبي عليه الصلاة والسلام ..
الا وذهب خيالى بعيدا يصور لى هذه الطفولة ، التى صهرها
اليتيم فى بوتقته ، وجعل منه رجلا مؤهلا لحمل رسالة السماء الى
الأرض ، وهداية البشرية الى دين الاسلام . وحتى يستطيع أن
يتحمل ما تحمله من أهوال فى سبيل نشر الدعوة .. تلك الأهوال
التى يستحيل على أى انسان أن يتحملها ما لم يكن قويا .. شجاعا
.. محاربا .. بجانب الصفات الأخرى التى تحلى بها من ذكاء
القلب ، والصبر . والحلم .. كل تلك الصفات التى جمعت حوله
القلوب .. وجعل البعض يؤثره على اقرب الناس اليه .

نعرف أن محمدا ولد يتيما ، فلم ير والده . لقد مات وهو مازال
جنينا فى بطن أمه ، وسماه جده عبد المطلب محمدا حتى يحمده فى
السماء والأرض ، ثم يذهب مع حليلة السعدية التى حملته معها
الى البادية .. ويمكث هناك حتى بلغ الرابعة من عمره وتعود به
حليلة وزوجها الحارث لتعيده الى أمه التى تتشوق حبا وحنانا له ،
وكان هذا فى موسم الحج حيث تزارح الناس الى البيت العتيق ،
وكان الوقت ليلا ، وجرفه سيل الحجاج المتدفقين .. لقد تاه عن
حليلة والحارث ، وإذا بالصبي الصغير محمد يفلت من زحام
الناس ليجلس تحت شجرة . رابط الجأش .. هادى الأعصاب —
لا يبكى ولا يولول ، وهو الذى لم يتجاوز الرابعة من عمره ، حتى
ياتى اليه من يعرفه ويعود به الى أهله .. لقد جلس تحت الشجرة

هادئا .. تاركا خياله يسرح في تلك الأيام التي قضاهها في بنى سعد
ويتذكر اخوته من الرضاعة ولعبهم معه عبد الله وأنيسة والشيءاء ،
وكثيرا ما كان يبتسم وهو يسترجع هذه الأيام ويتذكر لعبته المفضلة
حيث يخرج مع اخوته في الليالي المظلمة ، ويلقون بعظمة بيضاء في
الخلأ الموحش ، ومن يبصر هذه العظمة ويعثر عليها يصبح رئيسا
للجماعة ، وكان هو دائما الذى يعثر عليها .

وذهبت حليلة لجدته تخبره بأن محمدا قد تاه منها في تلك الليلة
الشديدة الزحام ، وخرج عبد المطلب يمتطى صهو حصانه يبحث
عن حفيده الحبيب مع جماعة من اقاربه منهم ، ورقة بن نوفل ،
وزيد بن عمرو بن نفيل ، وابو الحكم بن هشام (أبو جهل) وبعضا
من متعقبى الأثر ، وعثر عليه ورقة بن نوفل ، وزيد بن عمرو ، فقد
رأياه يجلس تحت الشجرة ، وحمله الى جده عبد المطلب ، ثم ذهب
به الى أمه حيث عاتقته عناقا حارا ..

ساعتها سألت آمنة بنت وهب حليلة السعدية لماذا جاءت به
قبل الميعاد ، وأخبرتها حليلة ان محمدا يميل الى الوحدة ،
وهو كثير التأمل .. كما انه كان يحرص على صعود الجبل .. وكل
هذه الأشياء أخافتها ان يحدث له شيء أو يصيبه مس من الشيطان ؟

عاد محمد الى مكة ليكلفه جده عبد المطلب .. وكان سعيدا
بصحبة أمه آمنة ، ورعاية أعمامه له ، ولكن التاريخ يقتص علينا
قصة تعطى مؤثرا لما سيكون عليه محمد في مستهل أيامه — لقد
مر بمكة جذب شديد . أمسكت السماء عن المطر ، فجفت الخضرة ،
ونفقت بعض الحيوانات ، وأصبح أهل مكة على أبواب كارثة ،
وتجمع الناس يطلبون من عبد المطلب المشورة .. فقد عجز السحرة
والكهان على أن تأتي السماء بسحاب ، وتوجه عبد المطلب مع هذه
الجموع ، ومعه حفيده محمد حيث طافوا بالبيت سبعا ، ثم سعدوا
الى جبل ثبيس ، وتوجه ببصره الى السماء وهو يحمل محمدا
وشاهد الناس عجا ! شاهدوا الطفل الصغير يزنو ببصره الى
السماء في خشوع رهيب . لم يتفوه . لم ينطق بكلمة . ولكن قلبه
كله كان متجها الى السماء .. بينما كان عبد المطلب يتوجه الى الله
بهذا الدعاء :

« اللهم ساد الخلة وكاشف الكربة ، انت عالم غير معلم ومسئول
غير مبخل ، وهذه عبداؤك وإيماؤك بعدرات حرمك يشكون اليك
سننتهم ، فاسمعن اللهم ، وأمطرن علينا غيثا مريعا مفدقا » .

ولم يكد تهبط تلك الجوع من الجبل الا وقد هبت الرياح ..
وامتلات السماء بالسحب ، وانهمرت الأمطار !

وتمضى الايام ، وتقرر أمه آمنة ان تذهب بمحمد الى يثرب ليزور
معها قبر أبيه ، وليتعرف على أحوال جده من بنى النجار وكان عمره
قد تجاوز السادسة بشهرين .

أخذت آمنة ابنها الحبيب الى صدرها ، وحدثته في سنه تلك
الصغيرة عن قصة زواجها بوالده ، وعن حياته القصيرة معها ،
وأنها تنوى زيارة قبره في يثرب ، وأنها سوف تأخذه معها الى حيث
دفن والده ، وفي نفس الوقت يتعرف على أحوال جده عبد المطلب
من بنى النجار ، ويقضى هناك شهرا يعرف شيئا عن هذه المدينة
التي تجمع قبائل الأوس والخزرج واليهود ، وهى فرصة لأن يرى
بلادا جديدة و .. رحب محمد بالفكرة ، وحان ميعاد الرحيل ..
وركب مع أمه في هودج على جملها بينما ركبت جاريتها بركة الحبشية
على جمل آخر ، وجاء جده وأعمامه يودعونه ، وانطلقت القافلة
في طريقها الى يثرب ، وشعرت آمنة بانقباض لا تعرف سببه وهى
تودع مكة وكأنها تودعها الوداع الأخير ، وفي الطريق شاهد محمد
الأصنام التي تعبدتها القبائل المختلفة ، ولم يجد في نفسه راحة
لما يفعله القوم من تقديسهم تلك الأصنام الصماء التي لا تنفع
ولا تضر ، ولكنه في سيره كان كثير الصمت .. يتأمل ما حوله من
مظاهر الكون . السهول . والوديان ، والجبال .. وفي الليل كان
يتأمل الكواكب والنجوم ، كأنه يريد أن يستشف كنه هذا
الوجود .

ويذهب محمد الى يثرب .. يمكث بها شهرا .. يعرف خلالها
الكثير من عادات القوم ومعتقداتهم ، ويتعلم هناك السباحة ، وتقرر
أمه العودة ، وفي الطريق كانت الأم تحتضن وحيدها بلهفة وشوق
.. كان هناك شعورا مبهما غامضا في أعماقها بأنها تقترب من

الرحيل عن هذه الدنيا ، وأنها سوف تترك وحيدها وحده في الحياة وتهب ريح عاصفة عاتية ، ويتوجه محمد الى أمه فرى وجهها وقد حلاه الأصفرار ، وهى لا تقوى على احتضانه ، ويراهها تقاوم شيئاً فوق طاقتها .. أن الرياح يزيد اندفاعها ، ورمال الصحراء القاسية تضرب الوجوه ، والأم العزيزة غير قادرة على الاحتمال فتصيح « واكرهاه » .

ويشعر محمد الصغير بنياط قلبه تتمزق .. ولكنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً . لقد علمه اليتيم الكثير .. أنه رغم سنه الصغيرة يحبس الدمع في مآقيه .. حتى لا يزيد من أحزان أمه في هذا الموقف الصعب الذى هى فيه .. حتى أسدلت الأم جفونها وراحت في غيبة الموت .. ساعتها انحنى عليها يبكى عليها أحر البكاء .. بينما حاولت أن تنزعه جاريته بركة الحبشية من أحضان أمه .. وجاء رجال القافلة ليدفنوها في « الأبواء » ، ورجع محمد وحده الى مكة . حيث وجد في استقباله أعمامه وجدته عبد المطلب .. واحتضنه جده ، وهو يعلم يقينا أنه سيكون لهذا اليتيم شأن عظيم ..

وهائى محمد في مجتمع مكة . رأى عادات تهرات وشاخنت ولابد لها أن تتغير ..

رأى مجتمعا فقد عقله تحت ضغط تقاليد سخيفة حين يسجد لصنم لا ينفع ولا يضر كما رأى عادة وأد البنات ، ورأى هذا المجتمع وقد امتلأ بالأوان من النساء والاستهتار . فهناك أصحاب الرايات الحمر .. أو الخيام التى ترتفع عليها الأعلام الحمراء يرتادها عشاق اللذة الحرام . بجانب انتشار الخمر والميسر والربا ، وشاهد المجتمع ، وهو ينقسم الى مجتمع السادة ومجتمع العبيد ، أو الذين يملكون كل شيء والذين لا يملكون أى شيء أ كما وجد أن مجتمع الجزيرة العربية مبتلىء بالقبائل المتناثرة المتناحرة : القوى يتربص بالضعيف ، ولم يكن في هذا المجتمع سوى فئة قليلة من الذين يعبدون الله على دين ابراهيم الخليل ، وفئة من اليهود في يثرب ، ونذرة من المسيحيين : أما الأغلبية فهى التى تعبد الأصنام .. بعد أن طال عليهم الأمد ، ونسوا دعوة ابراهيم واسماعيل .

تلك الدعوة التي انتشرت بين قبائل العرب عندما جاء ابراهيم عليه السلام من الشام ، وترك هاجر وابنها اسماعيل عند البيت الحرام .. وثب اسماعيل ، وجاء ابراهيم ليقيم القواعد من البيت وهو يدعو الله سبحانه وتعالى بهذا الدعاء :

« ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم .
ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم
من الثمرات لعلهم يشكرون » .

وكثر دعاء الخليل لسكان هذا المكان الطاهر :

● « رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات » .

● « رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام »

لقد تزوج اسماعيل من قبائل جرهم ، وعاش في هذا المكان الطاهر يدعو الى الله ، وقد انجب من زوجته السيدة بنت مضاض ابن عمرو الجرهمي اثني عشر ابنا ، ودفنت أمه هاجر بجوار الكعبة وهى في الستين من عمرها ، ولكن الزمن يمضى ، والناس تنس رحيق دعوة الاسلام الذى جاء به ابراهيم ، ويطول العهد ويمتلىء البيت العتيق بالأصنام ، ونرى هناك في هذا المجتمع من يحاول أن يشرب يعنقه الى أيام ابراهيم ، ويرى القوم قد ضلوا السبيل ..
فها نحن نرى رجلا كقنس بن ساعدة الايادى يخطب في سوق عكاظ ، ومن بين خطبه مثل هذه الخطبة :

« ان في السماء لخبرا ، وان في الأرض لعبرا . ما لى أرى الناس يذهبون فلا يرجعون ؟ أرضوا بالاقامة فاقاموا أم تركوا هناك فناموا؟! أقسم قنس بالله قسما لا ريب فيه : ان الله ديننا هو أرضى من دينكم هذا .. ثم قال :

في الداهيين الأولين من القرون لنا بصائر . ورأيت قومي نحوها يمضى الأصاغر والأكابر . لا من مضى يأتى اليك ولا من الباقين غابر أيقنت انى لا محالة حيث صار القوم صائر ... » .

في هذا الجو رأى محمد كل شيء ، وعرف الكثير ، وعرف أنه ينتسب الى ابراهيم الخليل ، وهو الذى قال فيها بعد :

« ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم .. فانا خيار من خيار » .

.. ان محمدا الصغير يرى ما حوله ، ولكن لا يشارك الناس عاداتهم وتقاليدهم ، ويسمع أن عمه الزبير سوف يسافر في رحلة الشتاء الى اليمن ، ويطلب من عمه ان يصحبه في هذه الرحلة . فهو يحب الرحلات حباً شديداً : انه يرى فيها أشياء تهزه من الأعماق يكفى أن يسير وسط مظاهر الطبيعة متأملاً كون الله الفسيح وما فيه من آيات . ليشعر راحة نفسية عميقة وهو يتأمل نجوم السماء ، ويرى تتابع الليل والنهار ، ويفكر فيما وراء هذا الكون ..

ويسافر مع عمه الى اليمن . انه دائم الصمت والتأمل ، ولكن مشهداً يحدث في الطريق يكشف عن معدن محمد .. « الصبى » الذى علمه اليتيم الشجاعة والاقدام . القافلة تدلج واديا ضيقا ، واذا بفحل من الابل يثور ثورة عارمة ، ويدب الفزع في قلوب الجميع ، وتتوقف القافلة عن السير ، واذا بالجميع يشاهدون عجبا : بينما لا يستطيع أحد أن يقترب من الفحل الهائج . ينزل محمد من يعيره ، ويتقدم الى الفحل ، وابتسامة عريضة على شفتيه . ثم يتقدم أكثر نحو الفحل ويربت عليه ، فاذا بالفحل يهدأ ، واذا بمحمد يجعله يبرك على الأرض ويركبه . لقد أسلم له هذا الفحل قياده الى أن عبر هذا الممر الضيق وبعدها عاد محمد ليركب جملة وقد ارتسمت على وجه عمه الزبير ابتسامة الرضا بابن أخيه الشجاع ،

وهكذا . علم اليتيم محمدا الكثير .

وبموت جده عبد المطلب زادت أحزان محمد ، ولكن سرعان ما احتضنه عمه أبو طالب ، وتمضى الايام .. ويقرر عمه أبو طالب السفر الى الشام في رحلة الصيف فيتقدم محمد الى عمه قائلاً :

— الى من تكلنى يا عماه . لام لى ولا اب .

ويشعر ابو طالب كأن الدنيا تدور به . كيف يترك أحب الناس الى قلبه وحيدا فى مكة ؟ وأخذه معه ، وكعادة محمد ما أن سار القافلة ، وأخذت طريقها نحو الشام حتى أطلق لروحه العنـ باحثا عن سر الكون ! كان معه فى هذه الرحلة أبو بكر ، وكان محـ فى الثانية عشرة من عمره ، وكان أبو بكر فى العاشرة . وعندـ الأديرة فى الصحراء استوقفهم أحد الرهبان ، واقترب من محـ وأخذ يتحدث معه ، وعرف الراهب أن هذا الصبى سيكون آءـ رسل السماء ، وتقدم من عمه يسأله :

— من هذا الصبى ؟

— انه ابنى . .

— ليس ابنك ولا ينبغى أن يكون أبوه حيا !

واقترب من محمد يتفحص عينيه الحمرأوين :

— هذا نبى !

— وما النبى ؟

— الذى يأتية الخبر من السماء !

— وكيف يأتية الخبر من السماء ؟

— لينبىء أهل الأرض !

لم يتصور ابو طالب أن يكون هنالك انسان يوحى اليه من السماء ، ولم يعر قول هذا الراهب أى اهتمام ، وانطلقت القافلة حتى اذا ما اقتربت من قرية (الكفر) التى تبعد عن بصرى ستـ أميال استوقفهم الراهب (بحيرا) الذى صنع للقافلة طعاما ودعاهم على غير عادته لتناول الطعام معه . فهذه هى المرة الاولى الذى يدعواهم هذا الراهب الى الطعام ، وهم الذين كثيرا ما يمرون عليه فلا يكثر بهم ، فلماذا دعاهم هذه المرة الى الطعام ! حضر كل من فى القافلة ، ولم يتخلف سوى محمد ، وتفرس فيهم فلم يجد الغلام فسأل أبا طالب :

— ألم يتخلف أحد ؟

— لم يتخلف سوى أددثنا سنا .

— فليحضر .

وجاء محمد وأخذ (بحيرا) يتفحصه ، ويطيل النظر إليه وسأله :

ساسالك . بحق اللات والعزى أن تخبرنى عما أسألك عنه .

فرد محمد :

— لا تسألنى باللات والعزى شيئا . فانا أبفضهما ، وأخذ يسأل محمدا عن أشياء كثيرة . . وعما يراه فى منامه ، وان كان ما يراه يتحقق أم لا ، وعرف أن كل ما يراه محمد مناما يتحقق فى الواقع ، وطلب من محمد أن يكشف عن ظهره . عندئذ لاحت عليه الدهشة كما لاحت على القرشيين الدهشة أيضا وهم يرون (بحيرا) ذلك الشيخ الجليل يقبل موضعا من ظهر محمد . ثم تقدم نحو (أبو طالب) فسأله :

— ما هذا الغلام منك ؟

— انه ابنى .

— ما هو ابنك ولا ينبغى أن يكون أبوه حيا ؟

— انه ابن أخى .

— أين أبوه ؟

— مات وأمه حبلى به ؟

— صدقت !

— وأين أمه ؟

— توفيت قريبا .

— صدقت . . أرجع بابن أخيك ، واحذر عليه اليهود لان له شائنا عظيما . اسرع به الى مكة .

ويرد عليه أبو طالب :

— ان كان الامر كما وصفت فهو في رعاية الله .

لم يكن أبو طالب مؤمنا بأقوال الكهان ، ولا كان مصدقا لسمعه من الراهب ، ولكنه خشى أن يصاب محمد بسوء فيقال أنه لم يسمع كلام الراهب ، فطلب من بعض غلمانه أن يعودوا بمحمد الى مكة ، وهنا طلب صديقه أبو بكر (عتيق بن أبي ثحافة) أن يعود مع صديقه الى مكة ، وعادا سويا .

وهنا يجب أن نتوقف قليلا عند آراء بعض المستشرقين الذين قالوا أن محمدا تأثر تأثرا كبيرا بما قاله له (بحيرا) وبالتالي فقد تصور محمد كل ما قاله له هذا الراهب عندما كان صغيرا وقال لنفسه لماذا لا أصبح نبيا بالفعل حتى تتحقق لى المكنة في قريرش والقبائل الأخرى ؟

وهذا الكلام الذى قاله المستشرقون كلام لا يستحق الرد ، لأنه كلام يدعو الى الضحك ولا يمكن أن نأخذه مأخذ الجد .. لأنه من المستحيل بالطبع أن تكون هذه الرسالة المتكاملة التى جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام نتيجة لما بثه (بحيرا) في ذهنه !

فهل كان (بحيرا) عالما بالشرعية الإسلامية التى جاء بها محمد ... بما فيها من عبادات وقيم وتشريع ، وقرآن يعجز البشر أن يأتوا بمثله ! طبعا ما قاله هؤلاء المستشرقون محض افتراء ، وهم لا يستحقون في حديثهم عن محمد في هذه النقطة عناء الرد . بل أن هذا الراهب (بحيرا) عاش في ضمير التاريخ : لا . لأنه كان راهبا متعبدا في الصحراء ، فما أكثر هؤلاء الرهبان الذين عاشوا وماتوا لا يدرون بأحد ولا أحد يدري بهم . ولكن (بحيرا) عاش في التاريخ نتيجة مقابلته لسيد البشر .. لمحمد عليه الصلاة والسلام الذى جاء بآخر رسالات السماء .

شباب محمد

(صلى الله عليه وسلم)

شباب محمد طاهر كالثوب الأبيض .. فما عرف شبابه اللهو
والجون ، ولا انغرس فيما انغرس فيه أترابه من شباب قريش
في السهر في المنتديات لسماع الأغاني والشعر وضرب الدفوف ،
ولا احتسى خمرا ، ولا عاش عالة على أحد .. ففي صباه كان يرعى
الغنم ، وما هو في شبابه ما يزال يرعى الأغنام ليكسب قوته بعرق
جبينه ، وكأن الأقدار تمهد له لتحمل عبء الرسالة .. فالرسالة
تحتاج الى صبر وشجاعة وأقدام ، وفي رعى الأغنام وسيلة ليتعلم
الصبر ويتحمله ، كما علمه اليتيم كيف يعتمد على ذاته ، وجعله
يقدر الأمور ويوزنها بميزان صحيح .

كل ما يروى عنه أنه حاول مرة ، وكان في الثالثة عشرة من
عمره أن يسمر كما يسمر الشباب ، وقد رأى الشباب وقد خرج في
ليلة مقمرة لسماع الأغاني ، أو ما يقوله الشعراء .. أو ما يرويه
الشيوخ من الأساطير ، وفكر لماذا لا يلهو ليلة في حياته كما يفعل
أترابه من الشباب .. لقد ترك الغنم في صحبة أحد الرجال ، وهو
يسمع صوت القيان يغنون في عرس بمكة ، وعندما اقترب من
الأصوات ، لم يشعر بشيء .. لقد أخذته سنة من النوم ثم لم
يلبث أن راح في نوم عميق ، وظل في نومه الى أن لفحته أشعة
الشمس ، وعزم أن ينام نهاره ليقضى ليلة ساهرة ، وإذا ما حدث
له بالأمس يحدث له في نفس الليلة ، وفكر طويلا ، واهتدى أن
مثله ما ينبغي أن يعيش اللهو ، وهو الذي قضى حياته مفكرا في

الكون وما وراء هذا الوجود : انه يكاد يستشف ما وراء هذا الكون
بالهامه .. انه ما خلق لهذا ! ان قلبه ينتبض عندما يدخل الكعبة فيرى
الأصنام الصماء التي لا تنفع ولا تضر .. ماله ؟ وما انغرسست
فيه مكة من لهو وعيب ومجون .. لقد عزم العقد بعدها ان لا يفكر
في هذا الأمر ..

انه يعرف ما يدور في هذا المجتمع المكي من عادات وتقاليد ،
ويعرف ان هناك قلة من الحنفاء الذين يعبدون الله على دين ابراهيم
الخليل .. من امثال ورقة بن نوفل ، وزيد بن عمرو بن نفيل ..
وكان زيد هذا يهرب من عمه الخطاب الذى كان يؤذيه ويضربه
لانه يسفه دين الآباء والأجداد ، وكان منتهى آماله ان يكف عمه
آذاه عنه ويتركه لحال سبيله ، ويعبد ما استقر بوجدانه دون تدخل
من احد ، فليس عنده القدرة على مواجهة الناس ، بل يكفى مايتعرض
له من سفهاء الشباب .. فهم يرمونه بالحجارة فيفر هاربا الى
شعب الجبال ..

وقد ورد عن زيد بن عمرو بن نفيل قوله :

يا معشر قريشى .. والذى نفسى بيده ما اصبحت منكم على دين
ابراهيم غيرى ..

ومن أشعاره المشهورة قوله :

أربا واحدا أم ألف رب	أدين اذا تقسمت الأمور
فلا عزى أدين ولا ابنتيها	ولا صنمى بنى عمرو أزور
ولكن أعبد الرحمن ربى	ليغفر ذنبى الرب الغفور

وزيد هذا قد مات قبل بعثة محمد بخمس سنوات . وقد تزوج
ابنه فاطمة بنت الخطاب شقيقة عمر بن الخطاب ، والتي كانت
السبب في إسلامه ..

مهما يكن من شيء .. فقد كان محمد يعرف كل ما يدور في مجتمع
الجزيرة العربية ، وكانت روحه هائمة دائما في البحث عن الحقيقة

كان العالم في حاجة الى رسالة جديدة تعيد الأمور الى نصابها .. تعيد القيم النبيلة ، تصبح هناك قدرة للتعايش بين الذين يملكون والذين لا يملكون . كانت الحياة تتطلع الى مجتمع جديد يسوده العدل والرحمة والمساواة ! الفقير يجد نفسه بجوار الغنى .. الضعيف لا يأكل حقوقه القوى .. الاستعمار الذى جثم على العالم المورف حينذاك كان قد تهرأ وشاخ . متمثلاً فى الامبراطوريتين الرومانية والفارسية ، ومن هنا كانت البشارات التى قال بها الرهبان فى صوامعهم بأن نبيا قد اظل الناس زمانه .. هذا النبى الذى بشر به عيسى بن مريم .

« واذا قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول ياتى من بعدى اسمه احمد » .

فالانجيل والتوراة كانا يبشران بالنبى المنتظر .

« الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل » .

.. ان الايام تمر .. ومحمد يعمل فى رعى الغنم ، مبتعدا عن مبالذ مجتمعه ، وكانت خديجة « بنت خويلد » من اثرياء قريش تبحث عن رجل أمين يتولى تجارتها ، وكانت مع ذلك من أعرق بطون قريش .. كان قد سبق لها الزواج من عتيق بن عائد المخزومى ، وعندما مات تزوجت (أبو هالة بن زرارة التميمى ، وانجبت منه (هالة وهند) .. الا أنها طلقت منه وكان عمرها خمسة وعشرين عاما ، تقدم لها الكثيرون يطلبون الزواج منها ولكنها رفضت ذلك ، وتفرغت لتجارتها العريضة ، ومرت الايام واستأجرت (محمد بن عبد الله) ليدبر لها أمور تجارتها فى رحلتى الصيف والشتاء .. رحلة الشام واليمن ، وذهب محمد الى تلك الرحلة مع عبدها (ميسرة) .. ونجح محمد فى أمور التجارة .. وربحت خديجة أرباحا كثيرة كان محمد قد بلغ الخامسة والعشرين من عمره ، وجاء ميسرة من الرحلة يقص على سيدته ما رأى من أحوال محمد وأمانته وقدرته على البيع والشراء رغم قلة تجربته فى أمور التجارة ،

وعرفت خديجة عن محمد الكثير .. فهي تعرف أن قومه يسمو (الأمين) وتعرف أنه عزوف عن لهو مكة وبعثها .. وتعرف أيضا أنه دائم الصمت والتفكير ، وأنه لم يسجد لصنم قط .. سمعت من ميسرة ، أن محمدا في طريق الرحلة دائم التأمل ، وعند يشتد الحر يرى كأن غمامة من السحاب تظله وتقيه الحر ، وهف نفس خديجة الى هذا الشاب القوى الوسيم الأمين .. انه عند يكلمها في أمور تجارتها لا يرفع عينيه اليها ، ولكن كيف تكلمه أمر زواجها منه ، وهي تكبره بخمسة عشر عاما !

وقررت أن تتحدث في أمر الزواج من محمد .. ارسلت الى إحدى صديقاتها (نفيسة بنت منبه) ، وعرضت عليه الزواج من خديجة فوافق محمد عن طيب خاطر ، وذهبت نفيسة الى خديجة تخبرها بقبول محمد ، فشعرت بالسعادة تفمرها وارسلت الى وقالت له :

((يا ابن عم قد رغبت فيك لقرابتى منك ، ومشركك في قوما واما ننتك فيهم ، وحسن خلقك ، وصدق حديثك ، فاطخطبني من عم عمرو بن أسد)) .

ذهب محمد الى أعمامه يخبرهم بما استقر عزمه عليه ، وبارا أعمامه تلك الخطوة ، وذهب معه عمه حمزة بن عبد المطلب الى عمر ابن أسد فخطبها اليه فقبل ، ورأت خديجة أن تذبح شاة ويذمها اليها معها ومحمد وأعمامه ، وجاء مع محمد : أبو طالب ، وحمزة ورؤساء مضر .. واكلوا ، واستمعوا الى أبي طالب وهو يقول

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم زرع اسماعيل وضئضي (اصل) معد ، وعنصر مضر ، وجعلنا حضنة بيته ، وشوكة حرما وجعل لنا بيتنا محفوظا ، وحرما آمنا وجعلنا الحكماء على الناس ثم ان ابن أخى هذا محمدا بن عبد الله لا يوزن به رجل الا رجح وان كان في المال قل ، فالمال ظل زائل .. وأمر حائل .. ومحمدا ممن قد عرفتم قرابته ، وقد خطب خديجة بنت خويلد ، وبذل له من المداق ما أجله وعاجله كذا من مالى ، وهو والله يعدد هذا له نبا عظيم وخطر جليل جسيم)) ..

وتكلم ورقة بن نوفل قائلا :

« الحمد لله الذى جعلنا كما فكرت ، وفضلنا على ما عدت
فنحن سادة العرب وقادتها ، وأنتم أهل ذلك كله لا تنكر العشيرة
فضلكم ، ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم ، وقد رغبتنا فى
الاتصال بحبلكم وشرفكم ، فاشهدوا على معاشر قريش بأنى قد
زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله على أربعمئة دينار
وسكت ورقة ، وقال أبو طالب :

— أحببت أن يشركك عمها .

فقال عمها :

— اشهدوا على يا معشر قريش انى قد انكحت محمد بن عبد الله
خديجة بنت خويلد .

وشهد على ذلك كبار قريش .

هذا وقد كان زواج محمد من خديجة بعد قدومه من رحلة الشام
بشهرين ، وعدة أيام .

ويمضى شباب رسول الله نقيًا طاهرا ، يعمل فى التجارة ..
ويكثر من التأمل ، ويعيش حياته بعيدا عن المفاصد المتفشية فى
مجتمع مكة .. يحب مكارم الأخلاق ، ويبتعد عن مواطن الخطأ
وعندما أقامت قرش حلف الفضول لرد المظالم عن الناس بمقتضاه
يكون الناس مع المظلوم حتى يسترد حقه كان محمد يشعر بالراحة ،
والسعادة حتى قد ورد عنه قوله فيها بعد :

— شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا لو دعيت به فى
الاسلام لأجبت .

.. وتيمضى الأيام .. وروح محمد من كثرة التأمل قد أضاعها
نور البصيرة ، أن يقترب من سن الأربعين ، وقد آن الأوان لتنزل

عليه اخطر رسالة يوكل بها نبي . انها رسالة الاسلام . لقد هدى
الله لحمل هذه الرسالة العظمى .

تلك الرسالة التى سوف تغمر انوارها العقول والقلوب ، والت
سوف تتلب مجتمعات قريش رأسا على عقب ، ثم تستطيع أن تغ
معالم الحياة لا فى الجزيرة العربية وحدها ، بل فى جميع أنحاء
العالم . . حيث ستتغير قيم لا بد لها أن تتغير ، وتنتهى حضارات
كان لابد لها أن تنتهى بعد أن تهرأت وشاخت وما عادت لدير
القدرة على العيش فى ظل دعوة محمد عليه الصلاة والسلام وما فيه
من قوة ونور ، وكان نزول الوحي على الرسول بداية لعصر جديد
وحياة جديدة ، وحضارة جديدة ، وانسان جديد .

الرسالة

عندما بلغ محمد الأربعين من عمره كان مهينا لحمل رسالة السماء ، وقد كان من عادته أن يذهب شهرا كل عام الى غار حراء متأملا مفكرا ، وبينما هو في الغار ، وكان ذلك في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة ٦١٠ م . . . نزل عليه جبريل عليه السلام ، وكانت أول آيات القرآن الكريم .

« اقرا باسم ربك الذى خلق ، خالق الانسان من علق ، اقرا وربك الاكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » .

ويعود محمد الى منزله خائفا واجفا ، يقص على خديجة ماحدث له فتقول له :

« ابشريا ابن عم واثبت ، فولذى نفسى خديجة بيده انى لأرجو
أن تكون نبى هذه الأمة ، والله لن يخزيك الله أبدا ، أنك لتصل
الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري
الضيف ، وتضمن على نوائب الدهر » .

وتذهب الى ابن عمها ورقة بن نوفل الذى كان يحفظ الانجيل
لانه كان هلى النصرانية ، وتحدثه عما حدث لـ محمد فيقول لها :

— « قدوس قدوس ، والذي نفس ورقة بيده ان كنت صدقتني
يا خديجة فان ما رآه محمد في غار حراء ، انما كان الناموس الأكبر

الذى نزل على موسى وعيسى من قبل ، وإن محمداً لهو نبي آخر
الدهر ، والذي ورد اسمه في التوراة والانجيل ، وأنه سيق
بإبلاغ رسالة الله جل وعلا ، وسيلقى من قومه وعشيرته الأذى
والتكذيب ، وسيخرجونه ومن معه من ديارهم ، ثم يقاتل الذ
كفروا ، ثم يأتيه الله النصر والفتح فاذهبى وقولى له فليثبت «

تمضي أيام ، والوحى لا ينزل ، ويساور محمداً قلق عظيم وتقو
له خديجة :

— لعل ربك قد قلاك .

فتزيد همومه وقلقه ، ولكن سرعان ما ينزل وحى السم
« والضحى والليل إذا سجدى ، ما ودعك ربك وما قلى ، ولا آخر
خير لك من الأولى ، ولسوف يعطيك ربك فترضى ، ألم يَجِدْكَ يَتِي
فاً وى ، ووجدك ضالاً فهدى ، ووجدك عائلاً فأغنى ، فأما اليتيم
فلا تقهر ، وأما السائل فلا تنهر ، وأما بنعمة ربك فحدث » .

ورفع محمد بصره الى السماء :

« لك الحمد اللهم ولك الشكر على آلائك ونعمائك » غير انه
عاد الى البيت يهزه الخوف ، وترجف أوصاله وهو يقول لزوجته
« دثرونى .. دثرونى » .

وجاء وحى الله :

« يا أيها المدثر ، قم فانذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ،
والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ، ولربك فاصبر » ولكن ينذر من ؟

سؤال راود محمداً عليه الصلاة والسلام ، وجاء وحى السماء

« وأنذر عشيرتك الأقربين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من
المؤمنين » ، وقوله « وقل أنى أنا النذير المبين » .

وأسلمت خديجة ، وأسلم على بن أبى طالب ، وأسلم مولا
زيد ، ثم دعا صديقه أبا بكر فأسلم ، وتابع أبو بكر عثمان بن عفان

ومعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص ، والزبير بن العوام . وبعد ذلك أسلم أبو عبيدة ابن الجراح وفاطمة بنت الخطاب وزوجها سعيد بن زيد ، وأسما وعائشة أولاد أبي بكر ، وغيرهم من المسلمين والمسلمات .

وكان على محمد عليه الصلاة والسلام أن يعلن الدعوة ، فخرج إلى قريش على جبل الصفا ، والتفت حوله قبائل قريش ، قال لهم النبي :

— هل عرفتم عنى كذبا أو بهتانا ؟

— لم نعرف عنك كذبا أو بهتانا ؟

فقال محمد :

— لو قات لكم ان خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ .

قالوا : نعم .

قال : اذن فاسمعوا جميعا ، غانى نذير لكم يا بنى عبد المطلب ، يا بنى مخزوم ، يا بنى عبد مناف ، يا بنى زهرة ، يا بنى تميم ، يا بنى أسد . لقد أمرنى الله ربى وربكم أن أنذركم ، فأنتم عشيرونى الأقربون ، وإنى لا أملك لكم من الدنيا منفععة ولا من الآخرة نصيبا ، إلا أن تشهدوا معى أن لا اله الا الله .

ظهر الوجوم على الوجوه ، وارتسمت عليها الدهشة . ان هذه الدعوة خطيرة للغاية ، انها الزلزال الذى يهز الجزيرة العربية والعالم من الأعماق ، انها دعوة تسفه عادات القوم وتقاليدهم ، انها ستغير المجتمع كله تغييرا جذريا ، وفطن أبو لهب لخطورة دعوة محمد عليه السلام ، وحاول الاستهانة بها قائلا له :

— الهذا دعوتنا .. وبلك .. !

ويتسع الجدل في مجتمع مكة ، ويفطن سادة قريش الى خطورة هذه الدعوة التي تساوى بين السادة والعبيد . وان معايير كثيرة ستغير ، وأن ربحا جديدة تهب توقف النائمين ، أن التاريخ يقرع أبواب عالم جديد ، عالم يحس فيه الفقراء بأن لهم كيانا ووجودا ، ويشعر فيه الضعيف أن حقه لا يذهب سدى .. ويشعر العبيد بأن ليلهم الطويل أوشك فجره على البزوغ ، ، ففى تعاليم الدين الجديد ما يمكن من القضاء على عبوديتهم فالجميع أمام الله سواء ، لا فرق بين السيد والعبد الا العمل الصالح ، الا السلوك .. اهتز مجتمع قريش بعنف ، وابتدأ الاضطهاد ، وابتدأت الهجرة الى الحبشة وأرسلت قريش في أعقاب المهاجرين من يوغل صدر النجاشي ملك الحبشة عليهم ، ولعل ذلك الحوار الرائع الذي دار بين المؤمنين المهاجرين وبين النجاشي ، يعطى صورة مبهرة عن الدين الجديد ، الذي كان يفضل المؤمن به الموت على الحياة ، كما خلق فيهم وعيا جديدا ، وفكرا عميقا ينمو على الدوام .

يجتمع النجاشي بالمسلمين المهاجرين ويسألهم :

— ما هو دينكم الذي فررتم به ، ولماذا لا تدخلوا ديني وكان النجاشي مسيحيا .. ؟

ويقف جعفر بن أبي طالب . ان في حديثه وضوحا وتوضيحا للانقلاب الهائل الذي أحدثه الاسلام في عقول معتنقيه قال :

— يا أيها الملك ، كنا قوما اهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأثى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسئ الى الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقته وأمانته ، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ، وנטرك ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، نهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا ، وبالصلاة والزكاة والصيام فصدقناه ، وآمننا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ، لا نشرك به

شيئا ، وحرمتنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا فمعدبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الأوثان ، فلما تهرونا وظلمونا وحالوا بيتنا وبين ديننا خرجنا الى بلادك ، ورجبنا في جوارك ورجونا الا نظلم عندك » .

— قال النجاشي : هل تحفظ شيئا تقرأه على من الكتاب المنزل على نبيكم ؟

تلا جعفر سورة مريم من أولها الى هذه الآيات :

« فأنشأت اليه ، قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ، قال اني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبيا ، وجعلني مباركا أينما كنت ، وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ، وبرا بالوالدين ولم يجعلني جبارا شقيا ، والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » .

فقال النجاشي : هذه الكلمات تصدر من نفس المتبع الذي صدرت منه كلمات سيدنا يسوع المسيح ، والله لن أسلمهم الى أيدي الاضطهاد .

وتمضي الأيام ورسول الله ماض في دعوته ، غير مكترث بالاضطهاد والتكيل بالمسلمين ، ولم يزد تعذيب مكة للمؤمنين بالاسلام الا استمساكا بهذا الدين الحنيف ، وتقف السيدة خديجة مع زوجها تنفق من أموالها بسخاء على الدعوة ، وزادت مكة من اضطهاد المسلمين ، ولما عجزوا عن اقناع ابي طالب بالوقوف عن مساعدة محمد قررت مكة مقاطعة المسلمين وبنى هاشم ، بحيث لا يتعاملون معهم ، ولا يتزوجون منهم .. كما أخرجوهم من مكة الى شعب في الجبال .. وفرضوا عليهم حصارا اقتصاديا بالغ القسوة والعنف ، . وقد استمر هذا الحصار لمدة ثلاث سنوات بعد البعثة بحوالى سبع سنين ..

ومرضت خديجة . ، وعندها فك الحصار عن المسلمين .. بعدها بأيام ماتت خديجة .. لقد عاشت مع الرسول الكريم خمسة

وعشرين عاما منهم عشرة بعد البعثة ، وأنجبت للرسول القاسم
وعبد الله وقد ماتا في طفولتهما .. كما أنجبت له زينب ورقية
وأم كلثوم وفاطمة ... وكل هؤلاء توفين في حياة الرسول ماعدا
فاطمة التي توفيت بعده بستة أشهر .

وحزن الرسول عليه الصلاة والسلام لوفاتها حزنا شديدا لقد كانت
رفيقة عمره .. شاركته أفراح الحياة وأحزانها ، وتحملت معه
ما تحمل هو من أهوال قریش وهو يؤدي رسالة الله .. وها هو
اليوم قد وقف وحده في الميدان .. بعد أن ماتت زوجته خديجة ..

ومات أيضا عمه أبو طالب الذى رعاها صغيرا وحماه عندما أخذ
ينشر راية التوحيد .. لقد بلغ الحزن بمحمد عليه الصلاة والسلام
مداه ، وسمى هذا العام عام الحزن .

محمد صلى الله عليه وسلم في الطائف

ماتت خديجة ..

ومات عنه أبو طالب ..

وشعر الرسول بالحزن العميق وزاد اضطهاد مكة له .. وفكر الرسول .. وقرر أن يذهب الى الطائف لعل الناس هناك يؤمنون به فتزداد دعوته بهم قوة .. انه يذهب الى الطائف مع موله زيد ابن حارثة .. كان ذلك في شهر شوال سنة عشر من البعثة .. لقد تهادت قريش في عداوتها للرسول الكريم .. فأخذ سفهاؤها يلقون عليه التراب والروث وهو صابر لأمر ربه .. ان ابنته فاطمة ترى ما يفعله هؤلاء السفهاء بسيد البشر ، فتتقدم اليه حائية تزيل عن رداء والدها التراب والأوساخ .. ولكنه يقول لها بكل الايمان والحب ..

« لا تحزنى يا بنية فان الله مانع اياك » .

ويتوجه الرسول الى الطائف لعله يجد هناك من ينصرونه بعد موت عنه وزيادة اضطهاد قريش له .

لقد قال عليه الصلاة والسلام والحزن يعتصر نفسه .

« ما نالت منى قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب » .

.. ويسافر الرسول الى الطائف ، ويبدا بمقابلة ثلاثة من
ساداتها ، كانوا ثلاثة من الأشقاء أبناء عمرو بن عمير . لعل
باسلامهم يقتدى بهم قومهم من بنى ثقيف ، ولكنهم نظروا اليه
بسخرية واستهزاء قائلين له :

— ألم يجد الله غيرك يرسله ؟

ولم يكتفوا بذلك بل أرسلوا سفهاءهم ليرموا الرسول بالحجارة
ولم يتركوه الا عندما اختفى خلف حائط بستان .. أخذ يجفف
دماءه ، وامتلات عيناه بالدموع ، وتوجه بكل كيانه نحو السماء .

اللهم اليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على
الناس .

يا ارحم الراحمين ، انت رب المستضعفين وانت ربي الى من
تكلمني ، الى بعيد يتجهمني .. ؟ أم الى عدو ملكته أمري ؟

ان لم يكن بك غضب على فلا ابالي .

ولكن عافيتك أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له
الظلمات ، وصلاح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك ،
او يحل علي سخطك .

لك العتبي حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة الا بك .

.. ويرى صاحب البستان ما حل بمحمد فيمس العطف شفاف
قلبه فيأمر خادمه (عداس) أن يذهب بطبق من العنب للرسول ،
ويتقدم عداس الى محمد بطبق العنب ، ويتناوله محمد قائلا :
باسم الله ، ويدهش عداس ويسأل الرسول :

— هذا الكلام لا يقوله اهل هذه البلاد .

ويسأله الرسول عن دينه وعن البلاد القادم منه :

ويقول الغلام : انا نصرانى من نينوى .

ويرد الرسول : من بلد الرجل الصالح يونس بن متى .

ويقول الغلام : وما الذى عرفك بيونس بن متى ؟

ويجيب الرسول : انه اخى ، كان نبيا ، وانا نبى مثله .

وينحنى عداس يقبل رأس الرسول ويديه وقدميه ، ويعلن
اسلامه ..

ويعود الرسول العظيم الى مكة وقد عزم العزم ان يقابل
القبائل عارضا الاسلام عليهم فى موسم الحج مثل ما فعل فى
الطائف ، ولكن كيف يدخل قريشا وهى تتربص به ، لقد ارسل
الرسول الى الاخنس بن شريق ليدخل فى جواره الى مكة ولم يكن
قد اسلم بعد فرد عليه بأنه حليف والحليف لا يجير ، فبعث الرسول
الى ابن عدى وقد مات هذا الرجل على دين قومه ليدخل مكة بجواره
فوافق الرجل وتسلم بن عدى هو وأولاده ، وذهب الى البيت
الحرام يعلن عدم تعرض أحد لحمد ودخل النبى عليه الصلاة
والسلام الى مكة وذهب الى البيت الحرام وطاف به وصلى ثم عاد
الى منزله وحوله ابن عدى وأولاده .

الهجرة ومسار جديد للدعوة

ظل رسول الله عليه الصلاة والسلام يدعو الى الاسلام في مكة ثلاثة عشر عاما .. أسلم خلالها عدد كبير من الناس ، وفي نفس الوقت ظل عدد كبير من أهل مكة يزدادون صلفا وكفرا وجحودا ، ولأتى النبي الكريم ما لأتى من بطش هؤلاء السفهاء وكان لابد للدعوة أن تأخذ طريقا جديدا ، طريقا حاسما .. يقضي على رؤوس الكفر والضلال ، وينتشر نور الاسلام في كل مكان ، وأوحى الله الى رسوله بالهجرة الى يثرب ، وكان قد التقى ببعض أهلها في موسم الحج وآمنوا به ، وتأهب الرسول لهذه الرحلة الى يثرب مع الصديق ، وعلمت قريش أن الرسول يزمع الهجرة من قريش غدبروا مكيدة قتل النبي ، ونام على بن أبي طالب في غرائبه .. أما الذين حاصروا بيته فقد غشيهم النعاس ، وخرج الرسول عليه الصلاة والسلام وسطهم دون أن يدروا به ، ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة — تلك التي شهدت مولده ، وطفولته وشبابه ، وعاش فيها ، وله فيها ذكريات وذكريات .. لطالما شاهدت أماكنها للرسول مواقف ، ولكن ما الحيلة ؟ لا راد لمشئته الله .. انه ينظر اليها ويقول تلك الكلمات الرائعة البليغة !

« والله انك لأحب ارض الله الى ، وانك لأحب ارض الله الى الله . ولولا أن اهلك — أخرجوني — ما خرجت منك » .

قيمة الحب اليلغ للوطن .

لقد استيقظ الذين يريدون قتله فوجدوا عجا .. لقد غشهم
النماسة جميعا ، ولم يشاهدوا أشرف مخلوق يخرج من بينهم
ولا يشعرون به ، وينزل الوحي على رسول الله .

— ((واذا يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك
ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)) .

ويجن جنون قريش ، وتبعث في أثره من يقتنى أثره ، ويدخل
الرسول في غار حراء مع الصديق ، ويعشش العنكبوت على باب
الغار ، وتأتى حمامة ، وتحط على باب الغار ، ويأتى اهل مكة
بالقرب من الغار ، ويقول أبو بكر لصاحبه ..

— لو نظر أحدهم تحته لראنا ويرد الرسول عليه الصلاة والسلام

— ما بالك بائنين الله ثالثهما .

ويمبر القرآن الكريم عن هذه الحادثة بأسلوبه المعجز .

((الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانی اثنين
اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا)) .

وترجع قريش تجسر أذيال الخيبة والندم ، ويصل الرسول
الكريم الى المدينة ويؤاخي بين الأنصار والمهاجرين ، وتأخذ الدعوة
مسارا جديدا ، أن لها أن تنطلق ، فطوال تلك الفترة التي قضاها
الرسول في مكة كان يدعو الى الاسلام بالحسنى . بالموعظة
الحسنة ، وعذب المسلمون ، واضطهدوا ، ولم يرفعوا السيوف في
وجه جلاديهم ، وأن الوقت لتأخذ الدعوة مجالا آخر .. فالاسلام
ينتشر بين القبائل لأنه دين الفطرة : دين بسيط لا تعقيد فيه .
مبادئ سامية لا يختلف حولها أحد . الاختلاف ليس على ما في الاسلام
من مبادئ وقيم ومثل عليا ، ولكن الخلاف لأن السادة وجدوا
خطرا في الدين الجديد ، ورأى فيه بعض المتزمتين انه يسفه عبادة
الآوثان الموروثة عن الأجداد ، ولكن دين التوحيد لن يقف في سبيل
انتشاره اليوم شيء — لن يقف مهبط الجناح يتلقى ضربات الأعداء .

بل سوف يواجه الظالمين .. سوف يقابل القوة بالقوة .. اذا كان هذا هو المنطق الذى تعرفه قريش ولا تعرف غيره ، ومن هنا فقد شرع الجهاد فى سبيل الله .. لا عدوان على أحد ، ولكن دفاعا عن الدين أو دفاعا عنه ضد متزمتى الجاهلية :

« اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز . الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور » .

ان شروق الاسلام ابتدا ينتشر ، وهاجت قريش وماجت وهى تعلم أن الرسول الكريم فى المدينة قد نظم أمورها ، وان ثمرات كفاحه الطويل ابتدأت تظهر للعيان ، وأن خطره قد ازداد . لم يعد بقدرتهم فرصة أية وصاية عليه ، ونور الاسلام الذى أخذ يشق طريقه الى القلوب . لم يعتنقه الناس رهبة من السيف ، فهو لم يرفع سيفاً يرغم أى انسان على اعتناق مبادئه ، لسبب بسيط جدا أنه لا اكراه فى الدين .. هكذا يأمرهم القرآن بذلك .

« لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » .

ان الاسلام وقد انتقل الى المدينة . سوف تتسع دائرة نشاطه ، ولكن هل يمكن لهذا الدين الجديد وهو ينتشر بهذه السرعة المذهلة . فيزيل الفوارق بين الناس ، ويسوى بين السادة والعبيد ويلغى الحواجز الطبيعية بين الناس ، هل يمكن له ان يسير على هذا المنوال دون ان يكيد له المنافقون ، والذين فى قلوبهم مرض ؟ المنطق والواقع يقول لا .

فالمنافقون في كل العصور يقفون بالمرصاد لكل الأعمال العظيمة ..
اذن ستكون هناك فتن ومؤامرات ودسائس .. وستندلع حروب
مريرة قاسية . بين الحق والباطل . بين أصحاب النور ، وأنصار
الظلام ، واذن فلا بد أن يشرع القتال .

« قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد
مضت سنة الأولين . وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله
للّٰه . فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير . وان تولوا فاعلموا ان
الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير » .

ولكن القرآن وهو يشرع الجهاد يضع قاعدة ذهبية .. هذه
القاعدة هي أن يحارب المسلمون ما دام لا بد من الحرب ، ولكن
الحرب ليس بهدف الحرب ، ليس هدفه الدماء والضحايا والأثلاء .
انه دائما يحب أغصان الزيتون ، انه دائما يبشر بالسلام .

« وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع
العليم » .

واذا كان لا بد من القتال . فان القتال شرع حتى تعلو راية
التوحيد ، وراية التوحيد لن تعلو ببساطة ، فهناك دائما الحاقدون
والمنافقون ، والكارهون للنور .

« كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو
خير لكم ، وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم
لا تعلمون » .

اذن . شرع الجهاد لدفاع المسلمين عن دينهم ، وحقوقهم ،
وليس لارغام أحد على الدخول فيه لأن القرآن يقر صراحة :

« انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم
بالمهتدين » ..

● « ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والها والهمك واحد ونحن له مسلمون » .

لقد فر الرسول بدينه الى مكة اذن . تمهيدا لنشر نوره في كل ارجاء العالم ، والرسول يعلم انه محاط بالأعداء .. وأن قريشا تتربص به .. فكان على الرسول أن يبعث سرايا ليعرف أخبار قريش ، وقام عليه الصلاة والسلام ليعترض قافلة لقريش كانت قادمة من الشام ، ولم يكن هذا الاعتراض عدوانا على قريش ، ولكنه يريد أن يأخذ بعض حقه وحق المهاجرين الذين هاجروا من مكة بلا مال ، ولا عتاد . لقد سلبهم مجتمع قريش كل شيء ، ونجا أبو سفيان بالقافلة .. ولكن صلف قريش وغورها سول لها ضرورة الانتقام من المسلمين ، وكانت معارك الاسلام الكبرى التي غيرت مجرى الحياة في مجتمع الجزيرة العربية كلها ، ثم المجتمع العالمي كله .!

معارك الإسلام الكبرى

لا شك أن هناك معارك فاصلة في التاريخ .

هذه المعارك ليست مجرد معارك عسكرية بين دولة ودولة ، أو فريق من الناس ضد فريق آخر — يظهر فيها المنتصر ، ويتبع مهيب الجناح بعدها المهزوم ، ثم تنسى مع الزمن ، ولكن هذه المعارك كانت حدا فاصلا بين عهد وعهد — بين صورة وصورة — على أثرها تغيرت خريطة الدنيا ، وبرزت ملامح حياة جديدة تركت بصماتها على دنيا الناس . لا في العصر الذي وقعت فيه فقط ، بل في عصور تالية من التاريخ .

ولقد خاض الرسول الكريم معارك كثيرة — قاد سبعة وعشرين زحفاً ، واثنتي عشرة معارك بنفسه ، وهي تسع معارك (بدر — أحد — المريسيع — الخندق ، قريظة ، خيبر — فتح مكة — حنين — الطائف) .

كما أنه أرسل سبعا وأربعين سرية (.. وإذا كان محمد عليه الصلاة والسلام يقود هذه المعارك ، فقد اتسم بالجرأة ، والشجاعة النادرة ، ومعرفة جو المعركة ، وما يحتم خوض هذه المعارك من سرية .. وكان هو قدوة حسنة لجنوده ، أو على حد تعبير ابن أبي طالب :

« كنا اذا حمى الباس التقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم
فما يكون أحد أقرب منه الى العدو » .

وطبعاً لا يمكننا في هذا الخبر الصغير أن نستعرض كل معارك
الرسول لأنها تتسع لجلدات ، ولكننا سنقف عند المعارك الفاصلة
التي غيرت تاريخ الاسلام ، وأول هذه المواقع كانت معركة بدر
الخالدة .

معركة بدر :

لقد كانت معركة بدر أول معركة في التاريخ الاسلامي . ولهذه
المعركة أهمية كبرى — لأنه لو قدر لهذه المعركة أن يخسرها
المسلمون لانتهى الاسلام الى الأبد ، وانتهت الدعوة في نفس الوقت !

نحن الآن في مدينة رسول الله — المدينة المنورة — آخى الرسول
بين المهاجرين والأنصار . بعد أن اضطر للهجرة من مكة الى المدينة
— دفاعاً عن نفسه ضد أذى مشركي مكة ، وما كان ينبغي أن يظل
الاسلام في حالة دفاع دائمة عن النفس .. مجرد رد العدوان .
كان لابد من اتباع استراتيجية جديدة — ليس الهدف منها العدوان
ولكن إقامة دولة الاسلام ليبدأ الدين الجديد انتشاره ، وهذا كان
يتطلب إيجاد قوة جديدة يحسب حسابها لأنه قد آن الأوان أن
تأخذ الدعوة شكلاً حاسماً . بتصفية خصوم الاسلام ، والرد على
عدوان الكائدين له ، فقد أذن الله لهم بالجهاد .. ومن هنا فُكر
الرسول أن يشعر قريشاً بأن قلزم حدودها وأنه قد آتت ساعة
الانتقام ، فكان أن أمر بأن يتصدى المسلمون لقافلة لقريش كانت
قادمة من الشام يقودها أبو سفيان ، وعلم أبو سفيان بذلك وتمكن
من الهرب ، ولكن قريشاً تابى إلا أن تهاجم محمداً في المدينة ، وتلقته
دراساً يعلم بعده قوة قريش ! انها تبعث بجيش جرار قوامه ألف
فارس ومعها نساؤها وخيلاؤها ، ولم يكن المسلمون الذين أخذوا
موقعهم عند بئر بدر سوى ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً .. قوتان غير
متكافئتين . قوة هائلة أمام قلة من المسلمين ليس لهم من عتاد
وسلاح يتناسب مع سلاح العدو ، مما جعل النبي عليه الصلاة
والسلام يتجه ببصره الى السماء يطلب العون .

«اللهم انهم حفاة فاجملهم ، اللهم انهم عراة فاكسهم ، اللهم انهم جياع فاشبعهم» .

وسال الرسول اصحابه الراى . ان عدوهم يملك ما لا يملكون . ويرد المقداد بن عمرو :

« يا رسول الله ، امض لما امرك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى : اذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون . ولكن نقول : اذهب انت وربك فقاتلا ، انا معكما مقاتلون ، ما دامت منا عين تطرف ، فوالله الذى بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد (بلد في الحبشة) لسرنا معك » .

ويقول سعد بن معاذ الانصارى :

« يا رسول الله قد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا ان ما جئت به هو الحق ، واعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، ولعلك يا رسول الله تخشى ان تكون الانصار ترى عليهم الا ينصروك في ديارهم ، واني اقول عن الانصار واجيب عنهم ، فامض حيث شئت ، وصل جبل من شئت ، واقطع جبل من شئت ، وسالم من شئت ، وعاد من شئت ، وخذ من اموالنا ما شئت ، وما اخذت كان احب الينا اخذه مما تركت ، فامض يا رسول الله لما اردت فنحن معك والذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، وما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره ان تلقى عدونا غدا ، وانا لصبر في الحرب ، صدق في اللقاء . لعل الله يريك منا ما تقر به عينك . فسر على بركة الله » .

هنا يقول الرسول الكريم :

« سيروا وابشروا بان الله قد وعدني احدى الطائفتين السير او التغير . فوالله لكانى انظر الى مصارع القوم » .

وفى اول المعركة اقترح سعد بن معاذ ان يبنى للنبي عريشا . يقود من خلاله المعركة ووافق الرسول . وابتدأت المعركة الرهيبة .

خرج من صفوف المشركين ثلاثة من محترفي القتال وهم عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والموليد بن عتبة طالبين المبارزة فخرج لهم على بن أبي طالب ، وحمزة بن عبد المطلب ، وعبيدة بن الحارث ، وقتل المشركون الثلاثة ، وارتفعت صيحات التكبير في صفوف جيش المسلمين .

ودارت معركة رهيبة . وفي أثنائها توجه النبي الى السماء .

« اللهم هذه قريش قد أتت بخيلائها تحاول أن تكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذي وعدتني ، اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض » .

ويقول الرسول أيضا :

« والذي نفس محمد بيده (بيد الله) لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا ، مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة » .

وتحتدم المعركة ، ويتساقط قتلى المشركين . وتدور الدائرة عليهم ، ويقتل أبو جهل . ويفر المشركون هاربين ويوصى الرسول الكريم بمعاملة الأسرى معاملة كريمة !

وكانت هذه المعركة بداية لانتصارات اسلامية متتالية .. بعدها استقر الاسلام وانتشر ، وكان كل يوم يزحف نحو مساحات جديدة ، ويغزو قلوبا جديدة . الى أن دخلت الجزيرة العربية كلها في الاسلام .

غزوة الخندق :

هذه الغزوة من أهم الغزوات التي تعرض لها المسلمون . كان موقفهم فيها موقف الدفاع . بينما كان الهجوم مكونا من جيش ضخم

قوامه عشرة آلاف مقاتل من قريش وقبائل بنى النضير وغطفان
وأشجع وأسد وسليم ، وقد لعب اليهود دورا كبيرا في تأليب القبائل
على الرسول عليه الصلاة والسلام في محاولة للقضاء على هذه
الدعوة التي ينادى بها الرسول الكريم .

زحفت كل هذه القبائل بسلاحها الرهيب ، وعتادها الضخم
بقيادة أبى سفيان ومعه خالد بن الوليد على رأس الفرسان . أن
خالدًا يأمل أن يهزم المسلمين ويحذف هذا الجيش الضخم تجاه مدينة
رسول الله . ويعلم الرسول بهذا الزحف ويعد له العدة بأن يحفر
خندقا حول المدينة بعد أن اقترح ذلك سلمان الفارسي . وحاول
بعض ضعاف النفوس التسلل هاربين الى بيوتهم . وهنا نزل قوله
تعالى :

« انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على
امر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه . ان الذين يستأذنوك أولئك
الذين يؤمنون بالله ورسوله ، فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن
لن ثلثت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم . لا تجعلوا دعاء
الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا . قد يعلم الله الذين يتسللون
منكم لو اذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة
أو يصيبهم عذاب أليم» .

ويتجه هذا الجيش للاتقاء المسلمين ويفاجأ بالخندق ، ولم يكن
العرب قد عرفوا هذه الوسيلة من قبل في الدفاع . . حاولوا التسلل
ولكن المسلمين ردوهم على أعقابهم ، وكانت من عادة العرب في
القتال أن يبدأوا الحرب بالبارزة . وهنا انبرى عمرو بن ود وكان
فارسا شجاعا يتحدى أحدا من المسلمين لبارزته ، وهنا وقف على
ابن أبى طالب يتحداه والرسول يمنعه . وللمرة الثالثة يصيح عمرو
ابن ود متحديا المسلمين .

لقد بحثت من النداء بجمعكم هل من مقاتل .

ووقفت اذ جبن المشجع وقفة الرجل المناجر .

وكذلك انى لم ازل متسرعا قبل الهزائر .

ان الشجاعة فى الفتى والجود من خير الغرائز .

ورد عليه على بن أبى طالب :

لا تعجلن فقد أذاك مجيب صوتك غير عاجز

ذونية وبصيرة والصدق منجى كل فائز

انى لأرجو أن أقدم عليك نائحة الجنائز

واتجه نبينا عليه الصلاة والسلام ببصره الى السماء وقال :

« الهى اخذت عبيدة منى يوم بدر ، وحمزة يوم أحد ، وهذا على
أخى وابن عمى فلا تذرني فردا وأنت خير الوارثين . اللهم
أعنه عليه » .

وتقدم على من خصمه العنيد فقال له عمرو

— لم يا بن أخى . فوالله ما أحب أن أقتلك

ورد على :

— ولكنى والله أحب أن أقتلك

ودارت معركة رهيبة استطاع على أن يقتل عمرو بن ود وكبر
المسلمون . وعند عودة على سألته الرسول :

— كيف وجدت نفسك معه يا على ؟

— قال على وجدته لو كان أهل المدينة كلهم فى جانب وأنا فى
جانب لقدرت عليهم .

ودارت معركة رهيبة في اليوم التالي عندما تسال فريق من المشركين مقتحمين الخندق . ظل القتال دائرا من الصباح حتى العشاء ، واستمر القتال في الليل ، وشن المسلمون هجوما مضادا على هذه الفرقة التي تسلكت بقيادة خالد بن الوليد اضطر بعدها الى العودة حيث جيوش المشركين .

واشتد حصار المشركين للمدينة . ويئس المشركون ، وذهب كيد اليهود . . لقد هبت ريح عاصفة عاتية . اقتلعت خيام العدو ففر مذمورا .

وكان لابد للنبي عليه الصلاة والسلام أن يسوى حسابه مع يهود المدينة الذين تأمروا عليه ، وخضع اليهود لشروط النبي وأرسل أبو سفيان رسالة للنبي يقول فيها .

— باسمك اللهم ، فاني أحلف باللات والعزى ، واستاف ونائل وهبل ، لقد سرت إليك في جمع وأنا أريد أن لا أعود إليك أبدا حتى استأصلكم فرائيتك قد كرهت لقاءنا واعتصمت بمكيدة ما كانت العرب تعرفها ، وانما كانت تعرف رماحها وسيوفها ، وما فعلت هذا الا فرارا من سيوفنا ولقائنا ولك منى يوم كيوم أحد .

ويرد عليه الرسول عليه الصلاة والسلام :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله الى صخر بن حرب . أما بعد . فقد أتاني كتابك وقديما غرك بالله الفرور . أما ذكرت أنك سرت إلينا ولا تريد أن تعود حتى تستأصلنا فذلك أمر يحول الله بينك وبينه ويجعل لنا العاقبة ، وليأتين عليك يوم اكسر فيه اللات والعزى وأسافا ونائلة وهبل حتى أذكرك ذلك يا سفيه بنى غالب . »

ويعبر القرآن الكريم عن هذه الأحداث بقوله المعجز :

« يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءكم جنود فارسنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا ،

اذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت
القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلى المؤمنون
وزلزلوا زلزالا شديدا . واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض
ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا . واذ قالت طائفة منهم يا اهل
يثرب لا مقام لكم فارجعوا ، ويستأذن — فريق منهم النبي يقولون أن
بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا » الى آخر الآيات
الكريمة .

لقد كانت هذه المعركة من أخطر المعارك الإسلامية ، وكانت
بمثابة بشائر النصر . . فقد انتشر الإسلام بعدها . . ودخل الرسول
العظيم مكة . . واتخذت الدعوة مسارها الصاعد ، فازيلت الأصنام
بعد أن حطمت من البيت الحرام ، ودخل الناس في دين الله
افواجا .

تَسَاءُ النَّبِيِّ

(صلى الله عليه وسلم)

كان محمد عليه الصلاة والسلام مثالا للانسان الكامل . الانسان المتواضع . الضعيف . الذى يخفض جناحه للمؤمنين — كان رحا بالناس . عطوفا عليهم . . فهو القاتل :

• الراحمون يرحمهم الرحمن •

• من لا يرحم لا يرحم •

• من يسر على معسر فى الدنيا ، يسر الله عليه فى الآخرة •

« ومن يقرأ مأمراً بحياته عليه الصلاة والسلام من أحداث . يرى الانسان المتواضع الى أقصى درجات التواضع . نرى ذلك فى هذه الحكاية المشهورة عندما يدخل عليه أحد الناس ، وقد تملكه الخوف من قوة شخصية الرسول . فاذا بالرسول يربت على كتفه قائلاً كلمته الخالدة .

« هون عليك . فان امى كانت تأكل القديد بمكة » •

ومن يقرأ قصة الاعرابى الذى جاء الى محمد عليه الصلاة والسلام وقتله ممتلىء غيظاً وحقدًا عليه لانه يسب آلهة قريش ،

ولكنه يذوب خجلا أمام ابتسامة النبی وحنوه العظيم .. فاذا به وهو القادم للانتقام من الرسول ينحنى ليقبل یدی الرسول وقدمیه ويقول له :

« يا محمد . والله لقد سمعت اليك وما على وجه الأرض ابفض الى منك ، وانی لذهاب الآن عنك ، وما على وجه الأرض أحب الى منك » .

ويروى لنا التاريخ أيضا كيف استقبل الرسول عليه الصلاة والسلام وهو في المدينة سيدة عجوزا فيفرش لها بردته ويقابلها بترحاب شديد ، وعندما تسأله عائشة عن حفاوته بها يقول لها :

« انها كانت تزورنا أيام خديجة » .

حياته عليه الصلاة والسلام كلها مودة وحب واخاء وايثار .. لم يتنكر لبشريته ، وما كان يفضب الا الله .. أما غير ذلك فهو الانسان الذي يمشى في الأسواق ، ويعيش عيشة الناس العاديين ، فهو الذي كان يدمو ربه .

— اللهم اجعل ثوت آل محمد كنانا

لم يطلب الثراء ، ولم يعيش عيشة سلطان أو حاكم ، انما هو واحد من الناس .

وهذا هو سر عظمة محمد عليه الصلاة والسلام . تلك العظمة التي فاقت كل مناسيب العظمة البشرية .. انه كما يقول القرآن الكريم .

« انما انا بشر مثلكم »

ومن هنا فقد تزوج ، وأخذ من الحياة في حدود شرعت له وحده عليه الصلاة والسلام .. كان زواجه من امهات المؤمنين بوحى

من الله تعالى ، فقد كان زواجه عليه الصلاة والسلام من نسائه لأسباب عديدة .. ليس فيها بالطبع شغفه بالنساء كما قال بعض المستشرقين في افتراءاتهم عليه .. فقد كان قدوة للمسلمين .

« لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » .

.. هناك ظروف دعت الرسول أن يتزوج أكثر من أربعة بينما أبيع لباقي المسلمين ألا يتعدوا الأربعة لقوله تعالى :

« فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة » .

.. لقد كان زواج النبي ، وهو الذي لم يتزوج في عنفوان شبابه إلا خديجة ، وظل معها ، لم يتزوج عليها طوال حياتها .. الى أن ذهبت الى رحاب الله .. قضت معه خمسا وعشرين عاما ، منها خمسة عشر قبل النبوة وعشر بعدها ، أى أن الرسول عندما تزوج زوجاته كان قد تجاوز الخمسين من عمره ، وهى السن التى لا يكون الزواج فيها بسبب الشهوة ..

لقد كان زواج الرسول كما قلنا بوحى من الله .

« ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له » والله سبحانه وتعالى يقول ايضا :

« يا أيها النبي انا احللت لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك ، وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة أن وهبت نفسها للنبي أن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين » .

وبعد أن فتح الرسول مكة ، وانتشر دين الله ، ودخل الناس فيه أفواجا . هنا استنفدت حكمة تعدد الأزواج للنبي أغراضها .. نزل قوله تعالى :

« لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما مَلَكَت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا » .

كانت خديجة هي أول زوجاته عليه الصلاة والسلام .. وكانت أول من آمن به عليه الصلاة والسلام ، وقد تزوجته وكانت في الأربعين من عمرها ، وكان هو في الخامسة والعشرين من عمره عندما وثقت في أمانته وخلقه وشخصيته .. وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يذكرها دائما ، ولا ينس تلك العشرة الطويلة معها ، وكفاحها بجانبه في أشد الظروف التي مر بها عليه الصلاة والسلام وهو يدعو الناس الى دين الله .. حتى أن عائشة رضی الله عنها كانت تملكها الغيرة عندما تذكر خديجة .. لقد قالت للرسول مرة :

— ما تذكر من عجز هلك في الهالكين فأبدلك الله خيرا منها .
ما كادت عائشة تقول هذا حتى ظهر الغضب على وجه الرسول الكريم وقال لعائشة :

— والله ما أبدلتني الله خيرا منها ، آمنت بي حين كفر الناس ، وصدقتني إذ كذبني الناس ، وواستني بمالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء » .

● الزوجة الثانية : سودة بنت زمعة .. كانت زوجة السكران ابن عمرو أحد أصحاب رسول الله الذي هاجر الى الحبشة وعندما مات وتركها وحيدة ، وكانت سيدة عجوزا ليس فيها جمال يغري الرجل ، لقد تزوجها الرسول اكراما لزوجها الذي هاجر مع الرعيل الأول من المهاجرين الى الحبشة وكانت زوجته خديجة قد توفيت في العام السابع بعد البعثة ورأى النبي في زواجه من سودة بنت زمعة

ايضا من ترعى بنتيه « أم كلثوم وفاطمة » .. وقد ظلت معه عليه الصلاة والسلام في مكة ، وهاجرت الى المدينة معه .

وقد توفيت رضى الله عنها في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

● **الزوجة الثالثة :** عائشة بنت أبى بكر ، وقد خطبها الرسول وكانت في العاشرة من عمرها ، ولم يدخل بها الا في الثانية عشرة من عمرها ، وقد تزوجها ليوطد الصداقة بينه وبين أبى بكر الصديق ، فقد كان الرسول يحب الصديق حبا كبيرا .. ويكفى أن تعرف أن أبى بكر الصديق أنفق خمسة وعشرين ألف دينار ، وحرر من هذا المبلغ كثيرا من العبيد ، وعندما هاجر الى المدينة كان يحمل معه خمسة آلاف دينار .

لقد كانت عائشة من أحب نساء النبى الى قلبه ، ومع ذلك فقد تعرضت للاشاعات الأثمة ، أو حادثة الأفك كما يرويها لنا التاريخ ، وكان الذى روج لهذه الحادثة رأس المنافقين فى المدينة « عبد الله ابن أبى بن سلول » .. والذى أخذ ينشر هذه الاشاعة الكاذبة حتى وصلت الى أذن الرسول وإلى أذن أبى بكر الصديق .. وملخص هذه الحادثة أن الرسول اصطحب معه فى غزوة « بنى المصطلق » عائشة ، وبعد انتصار المسلمين بها حطوا رجالهم بالصحراء للراحة ، وذهبت عائشة لقضاء حاجتها بعيدا فى الصحراء ، وعندما عادت الى مكانها وجدت أن عقدها ليس فى صدرها ، فعادت الى المكان لتبحث عنه ، وكان الجيش قد بدأ بالعودة ، وحمل الجنود هودجها ولم يفتنوا أنها لم تكن به ، وعادت عائشة مذعورة عندما لم تجد أحدا من جنود المسلمين ، فأثرت أن تظل مكانها يقينا منها بأنهم سوف يعودون اليها عندما لا يجدونها فى هودجها ، وكان متخفا عن جيش المسلمين واحد منهم يسمى « صفوان بن المعطل » على أمل أن يجد شيئا قد تركه الجنود .. فلما رأى عائشة عرفها ، وأركبها بعيره ، وأخذ هو بزمام البعير حتى وصلت الى المدينة ، والقصة عادية ولكن المنافق «عبد الله ابن أبى بن سلول» أخذ يشيع أنها كانت على علاقة بهذا الرجل ، انتشر الخبر بين الناس . استعاذ منه المسلمون ، وفرح المنافقون .. الى أن وصل الى أذان النبى عليه الصلاة والسلام ، وكذلك أبو بكر .

وتحكي عائشة أحداث هذه القصة فتقول :

« قمت حين أنزوا بالرحيل فمشتيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت الى رحلى : فلمست صدرى فاذا عقد لى قد انقطع ، فالتمست عقدى فحبسنى ابتغاه ، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلوننى فاحتلوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت أركب عليه ، وهم يحسبون أنى عليه ، ووجدت عقدى بعد ما استمر الجيش ، فجئت منازلهم وليس بها منهم داء ولا مجيب ، فيمت منزلى فغلقتنى عيني فتمت ، وكان صفوان ابن المعطل السلمى من وراء الجيش فأصبح عند منزلى ، فرأى سواد انسان نائم فعرفنى حين رآنى ، وكان رآنى قبل الحجاب ، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى ، فخمرت وجهى بجلبابى ، ووالله ما تكلمنا بكلمة ، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتى أناخ راحلته فوطىء على يدها فمقت اليها فركبتها فانطلق يقود بى الراحلة » .

كان الرسول عليه الصلاة والسلام يعلم أن زوجته بريئة مما اتهمها به هذا المنافق ، حتى أنه قام فخطب الناس فقال :

« يا ايها الناس ، ما بال رجال يؤذوننى فى اهلى ، ويقولون عليهم غير الحق . والله ما علمت منهم الا خيرا ، ويقولون ذلك لرجل ما علمت منه الا خيرا ، وما يدخل بيتا من بيوتى الا وهو معى ؟

وكادت تحدث فتنة .

والرسول ينتظر .. وطال الانتظار ..

وسال الرسول اصحابه .. قال له اسامة بن زيد ان ما قيل عنها افتراءات ، بينما قال على بن أبى طالب للرسول :

— يا رسول الله • النساء كثيرات وانك لقادر على أن تستخلف
وسل الجارية فانها ستصدقك •

ويسال الرسول جاريته بريرة فتنفى عنها أى سوء • • كانت
عائشة فى بيت أبيها الصديق • يعتصرها الألم والحزن والمرض ،
ويذهب اليها الرسول قائلاً :

((يا عائشة انه قد كان ما قد بلغك من قول الناس فانتفى الله ،
وان كنت قد قارفت سوءاً مما يقول الناس فتوبى الى الله ، فان
الله يقبل التوبة من عباده)) •

فردت عليه عائشة :

— والله لا اتوب الى الله مما ذكرت أبداً ، فلئن قلت لكم انى
بريئة لا تصدقونى ، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم انى منه
بريئة لتصدقن • فوالله لا أجد لى ولكم الا قول أبى يوسف عليه
السلام • • « فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون » •

ونزل الوحي يبرئ عائشة من فوق سبع سموات • • وخرج
الرسول الى المسجد يتلو على الناس قوله تعالى :

((ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل
هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذى تولى كبره
منهم له عذاب عظيم لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات
بانفسهم خيراً وقالوا هذا افك مبين)) الى ان قال ((ولولا اذ
سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانه هذا بهتان عظيم ،
يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات
والله عليم حكيم ، ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين
آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وانتم لا تعلمون)) •

وعادت عائشة الى بيت النبي ، وظلت معززة مكرمة ، الى ان لحق عليه الصلاة والسلام بالرقيق الأعلى في بيتها ، حيث دفن وكان عمره عليه الصلاة والسلام ٦٣ سنة وكان عمرها ٢٣ سنة .



الزوجة الرابعة كانت حفصة بنت عمر بن الخطاب ، وكان الغرض من هذا الزواج أن يوطد علاقته عليه الصلاة والسلام بعمر ابن الخطاب مثل أبي بكر الصديق .. وكانت حفصة متزوجة من الصحابي خنيس بن حذافة السهمي .. وكان من المهاجرين الى الحبشة واستشهد في موقعة بدر .. وعندما استشهد زوجها كانت هي في الثانية عشر من عمرها ، وكان عمر بن الخطاب يريد ان يزوجه ابا بكر الصديق ، أو عثمان بن عفان ، ولكنهما تمهلاه ، فذهب يشكو للرسول الذي ابتسم وقال له « تتزوج حفصة ممن هو خير من عثمان ويتزوج عثمان ممن هي خير من حفصة » .

وكانت حفصة تجيد القراءة والكتابة .. ذكية فصيحة وكانت حفصة أقرب النساء الى قلب عائشة .. وقد توفيت حفصة وهي في الستين من عمرها في خلافة معاوية بن أبي سفيان في سنة ٥٤ هـ ، ودفنت في البقيع في مقبرة أمهات المؤمنين .

● **الزوجة الخامسة : زينب بنت خزيمة « أم المساكين »** وكانت كبيرة في السن ، وكانت زوجة لابن عم الرسول عبيدة بن الحارث ابن عبد المطلب .. وقد كان زوجها قد استشهد في معركة بدر ، وكان الرسول يرغب أن يكرم زوجة ابن عمه ، غير أنها توفيت بعد ثمانية أشهر من زواجها بالرسول عليه الصلاة والسلام ..

● **الزوجة السادسة كانت هند أم سلمة ،** وكانت من أولى المهاجرات الى الحبشة ، وكانت متزوجة من ابن عمها عبد الله ابن عبد الأسد المخزومي ، وكان ابن عمه رسول الله « برة بنت عبد المطلب بن هاشم » وقد كان زوجها قد استشهد

على اثر جرح أصابه في معركة أحد .. وقد كانت مكرمة عند الرسول وكانت آخر من ماتت من نساء الرسول .. لقد ماتت في سنة ٦٣ هـ في عهد يزيد بن معاوية ، ودفنت في البقيع .

● **الزوجة السابعة كانت زينب بنت جحش ..** وهى ابنة عمه الرسول ، وكان قد زوجها عليه الصلاة والسلام لمولاه زيد بن حارثة ، وقد تزوجها الرسول بعد طلاقها من زوجها بوحي من الله سبحانه وتعالى « لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج ادعيائهم » . وكان الرسول يحبها حتى أن عائشة كانت تقول :

« كانت زينب تساميني من بين أزواج النبي في المنزل عند رسول الله » .

وكانت زينب تفاخر نساء النبي بأنها قد تزوجت بأمر الله .. فكانت تقول لهن :

« أنا أكرمكن وليا ، وأكرمكن سفيرا . زوجكن أهلكن وزوجنى الله من فوق سبع سموات » .

وقد اثار زواج زينب بنت جحش العديد من التهجم من المستشرقين وأعداء الاسلام على النبي .. فزعموا أن محمداً قد رآها بعد أن تزوجها مولاه زيد بن حارثة فهام بها حبا وطلقها من زوجها وتزوجها ! ، هذه أكلوبة انساق لها للأسف بعض المؤرخين من أمثال الطبرى .. فلقد زوج النبي عليه الصلاة والسلام ابنة عمته زينب الى زيد ليفى الفوارق بين الطبقات .. بين السادة والعبيد ، وكان الرسول يعرفها وهى تتدرج من الطفولة الى الصبا والشباب ، فلم تكن غريبة عن رسول الله .. وقد جاء زواجها من زيد بن حارثة لحكمة .. التشريع ، وكان الرسول يحب زيدا ، ولكن زينب لم تنس يوماً أنها شريفة قرشية ، وما أكثر ما لاقى زيد من صدها له .. وكلما كان يشكو للرسول ذلك ، كان الرسول يقول له :

« امسك عليك زوجك واتق الله » .

وكان الأمر الإلهي بزواج الرسول من زينب يحقق هدفين من أهداف التشريع الإسلامى :

١ — أن الرقيق الذى اعتق يمكن أن يتزوج من المرأة الحرة .. وأنه لا فرق بين عبد وسيد أمام الله إلا بالتقوى .

٢ — أن التشريع الإسلامى يوضح أن الابن المتبنى ليس كالابن الحقيقى ولا يعامل معاملة كما جرى العرف فى الجاهلية ..

ومن هنا كان الأمر الإلهي بتزويج النبى الى زينب . وقد نفذ الرسول هذا الأمر عندما نزل قوله تعالى :

« واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه ، أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ، فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا ، وكان أمر الله مفعولا » .

ولاشك أن ماكتبه الدكتور محمد حسين هيكى فى كتابه « حياة محمد » ورده على الاتهامات التى قالها المستشرقون والمنافقون حول هذه القصة من الوضوح بمكان ، فهو يفند ادعاءاتهم بقوله :

« ويكفى لهدم كل القصة من أساسها ، أن تعلم أن زينب بنت جحش هذه ، هى ابنة عمه رسول الله عليه السلام ، وأنها ربيت بعينه وعنايته . وأنه كان يعرفها ويعرف أهى ذات مفاتن أم لا قبل أن تتزوج زيدا ، وأنه شهدا فى نموها تحبوا من الطفولة الى الصبا ، الى الشباب ، وأنه هو الذى خطبها على زيد مولاه » .

ويتابع هيكى حديثه :

« ان زواج الرسول من زينب لم يدفعه اليه ميل ولا عاطفة ، وانما يأتى بحكم الله فيما أبطل من الحقوق المقررة للتبنى والادعاء ، ثم أشفق مما يمكن أن يقول الناس فى خرقه لعادة لهم قديمة متأصلة ،

فلم يرض له الله أن يخفى في نفسه ما الله مبدية ، ويخشى الناس
والله أحق أن يخشاه .

أفيبقى بعد ذلك أثر لهذه الأناصيص التي يكررها بعض
المستشرقين والمبشرين ؟ لكنها شهوة التبشير المكشوف تارة ،
والتبشير باسم العلم تارة أخرى . والخصومة القديمة للإسلام
تأصلت في النفوس منذ الحروب الصليبية ، هي التي تملى على
هؤلاء جميعا ما يكتبون ، وتجعلهم في أمر زواج النبي ، وفي أمر
زواجه من زينب بنت جحش ، يتجنون على التاريخ ، ويلتمسون
أضعف الرواية فيه مما دس عليه ونسب إليه .

.. ولقد كانت السيدة زينب بنت جحش كريمة ، محبة للمساكين
.. ويكفى أن تعرف أنها كانت بجانب طاعتها لرسول الله ..
كانت كثيرة الإنفاق على المحتاجين ، حتى أنها تبرعت بكل نصيبها
من العطاء المخصص لها في زمن عمر بن الخطاب وكان قدره اثني
عشر ألف درهم الى فقراء المسلمين ، وقد توفيت السيدة زينب
في خلافة عمر بن الخطاب في سنة عشرين من الهجرة وهي في الثالثة
والخمسين من عمرها .. وبذلك كانت أول من لحقت برسول الله
عليه الصلاة والسلام .

● **الزوجة الثامنة : ربحانة بنت عمرو .. وهي يهودية وقد
وقعت في الأسر عقب هزيمة اليهود ، وكانت من نصيب النبي ،
ودعاها لله ورسوله ، ثم عزلها في بيت أم المنذر بنت قيس وقد دخل
الإسلام قلبها عندما استمعت الى الرسول يجيب على أسئلة بعض
المسيحيين واليهود ، فقد سأله عن يؤمن بهم من الانبياء .. فتلى
عليهم قوله تعالى :**

«(قولوا آمنا بالله ، وما أنزل إلينا ، وما أنزل الى ابراهيم
واسماعيل واسحق ، ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ،
وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون)» .

.. لقد أعلنت اسلامها واعترفها الرسول وتزوجها .

● **الزوجة التاسعة : جويرية بنت الحارث** .. أبوها من كبار زعماء اليهود وهو سيد بنى المصطلق ، وقد أسرت ، وأصبحت من نصيب ثابت بن قيس ، ولكنها هربت منه ولجأت الى الرسول وقالت له : يا رسول الله انا بنت الحارث بن أبى ضرار سيد قومي ، وقد أصابني من الأمر ما لم يخف عليك فوقعت في سهم ثابت بن قيس ، فكاتبته على نفسي وجئتك أستعينك على أمرى .

قال لها الرسول : فهل لك في خير من ذلك ؟

قالت : ما هو يا رسول الله ؟

قال الرسول : اقضى عنك كتابتك وأتزوجك .

قالت : نعم يا رسول الله .

قال : قد فعلت .

وعندما علموا بزواج الرسول منها ، أطلقوا سراح قومها على أساس أنهم أصبحوا أصهار الرسول ..

ولقد عاشت السيدة جويرية حتى عهد معاوية بن أبى سفيان ودفنت في البقيع .



الزوجة العاشرة : رسالة بنت أبى سفيان .. بنت زعيم مكة وقائد المشركين (أبو سفيان بن حرب) .. وقد كانت متزوجة عبد الله بن جحش .. الذي أسلم وهاجر الى الحبشة ، غير أنه ارتد عن الاسلام ، وكانت قد أنجبت منه ابنته (حبيبة) وعز عليها أن يترك زوجها الاسلام ويعتق النصرانية .. وعلم الرسول بمحنتها وهي في الحبشة فتزوجها وهي هناك .. وكان بذلك يعوضها عن محنتها فقد تزوجت خير البشر .. كما أن زواج الرسول منها يجعل قلب أبيها يرق قليلا .. وهذا ما حدث عندما أسلم أبو سفيان

فيما بعد . ولقد ظلت أم حبيبة في الحبشة ، إلى العام السابع الهجرى يوم فتح خيبر . . وظلت في بيت رسول الله وتوفيت في عهد أخيها معاوية بن أبى سفيان في سنة ٤٤ هـ وقد عمرت ٦٧ عاما .

● **الزوجة الحادية عشرة كانت** (صفية بنت خبي بن أخطب . . أنها بنت زعيم اليهود حبي بن أخطب . وكان يريد الرسول بزواجه منها أن يكف اليهود عن عداوتهم له . . ليتفرغ لنشر الاسلام وقد ضايتها نساء النبي حتى أنها اشتكت له تصرفهن معها وكان الرسول يقول لها أن تقول لهن :

— أنا ابنة نبي ، وابنة أخ نبي . . وزوج نبي والرسول يقصد أنها تنسب الى أبيها موسى ، وأخيه هارون ، وزوجها محمد عليه الصلاة والسلام .

وقد كانت نساء النبي يغرن منها . . وظلت صفية في بيت رسول الله ، وقد كانت تبعث الى عثمان بن عفان عندما حوصر بالطعام لأنها كانت تجاوره ، وقد عاشت رضى الله عنها الى خلافة معاوية فمقد توفيت في سنة خمسين هجرية ودفنت في البقيع مع أمهات المؤمنين .

● **الزوجة الثانية عشرة كانت مارية القبطية ،** وكانت مما ملكت يدها ، أرسلها المقوقس عظيم مصر هدية للرسول . . وقد كان أبوها مصرى واسمه شمعون ، وأمها يونانية وقد ولدت في قرية (حقن) . . وهى إحدى قرى محافظة المنيا . . ثم عملت كوصيفة للمقوقس . . وجاءت الى المدينة في السنة السابعة للهجرة ومعها أختها سريين التى تزوجت الشاعر حسان بن ثابت . . وقد عرض الرسول عليها الاسلام فأسلمت وتزوجها وأنجبت منه إبراهيم . . وكان الرسول فرحا سعيدا بابنه إبراهيم . . فقد مات أولاده من قبل ولم يبق له الا فاطمة الزهراء ، وكان يحمله ويطوف به بيوت أمهات المؤمنين ، ولكن إبراهيم مرض بعد ستة عشر شهرا من مولده ، ومات في حجر والده العظيم ، وقد تفجرت مشاعر الرحمة بين حنايا النبي وهو يرى غلظة كبده يودع الحياة فيقول :

« تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول الا ما يرضى ربنا ،
وانا يا ابراهيم عليك احزونون ، وانا لله وانا اليه راجعون » .

لقد دفن ابراهيم في البقيع ، وتصادف أن كسفت الشمس .

وقال الناس : ان الشمس انكسفت لموت ابراهيم وعندما بلغ ذلك الرسول قال :

« ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت أحد ولا لحياته » .

ولقد مات الرسول بعد وفاة ابنه بشهور قليلة فقد توفي عليه الصلاة والسلام في ربيع الأول من السنة الحادية عشر الهجرية .

ولقد حزننا مارية على موت ابنها والرسول . . فكانت تجد سلواها في زيارة قبرهما ، وماتت بعدهم بحوالى خمس سنوات في خلافة عمر بن الخطاب ، وكانت في الثلاثين من عمرها .

● وكانت آخر نساء النبي ميمونة بنت الحارث . . وقد جاء زواجها منه عليه الصلاة والسلام ، بعد أن دخل الرسول مكة بعد صلح الحديبية لأداء فريضة الحج . . وقد أعجبت برة بنت الحارث أخت أم الفضل بنت الحارث زوجة العباس عم النبي بالرسول وأرادت أن تسلم وتتزوج . . فقد وهبت نفسها للرسول . وما كان من العباس الا أن أخبر النبي برغبتها فوافق النبي وأصدقها ٤٠٠ درهم . ونزل فيها قوله تعالى :

« وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين » . .

وكانت برة أرملة في السادسة والعشرين من عمرها وقد أطلق عليها الرسول اسم « ميمونة » تيمنا . . فقد حج البيت مع فريق كبير من المؤمنين .

ولقد عاشت ميمونة في بيت رسول الله شأنها شأن باقي أمهات المؤمنين ، وعاشت بعد الرسول خمسين عاما .. وتوفيت وهي في الثمانين من عمرها في سنة ٦١ هجرية ودفنت في مكان يبعد عشرة أميال عن المدينة حسب وصيتها في مكان يطلق عليه اسم (سرف) حيث بنى بها الرسول الكريم .

وكانت هي آخر نساء النبي . فقد أمره سبحانه وتعالى بالكف عن الزواج والاكتفاء بما أحله الله له .. فقد نزل قوله تعالى :

« لا يحل لك النساء من بعد ، ولا أن تبدل بهن من أزواج ، ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك ، وكان الله على كل شيء رقيبا » .

وقد مات الرسول عن تسع زوجات هن أمهات المؤمنين «(سودة بنت زمعة ، وعائشة بنت أبي بكر ، وحفصة بنت عمر ، وهند أم سلمة ، وزينب بنت جحش ، وريحانة بنت عمرو ، ورسلة بنت أبي سفيان ، وصفية بنت حيى بن أخطب ، وميمونة بنت الحارث)» .



مما سبق تعرف أن الرسول الكريم تزوج خديجة بنت خويلد ومكث معها وحدها منذ تزوجها وهو في الخامسة والعشرين من عمره الى أن ماتت وكانت في حوالى الخمسين من عمرها ، وهو لم يتزوج بزواجه الأخرى إلا في فترات الحروب . وكان عمره بين الخامسة والخمسين والستين ، أى أنه تزوج باقى أمهات المؤمنين في مدى خمس سنوات ، وواضح أن هذا الزواج لم يكن بسبب المتعة أو الشهوة فقد كان عليه الصلاة والسلام تجاوز سن الشباب . وكانت حياته كلها معارك وكفاح في سبيل نشر دين الله .. وقد كان لزوجاته أسباب كثيرة كما سبق أن شرحنا فيها المعطف أو الرحمة أو لظروف سياسية أو لغرض تشريع معين ..

.. لم يكن الرسول رجل شهوة .. فقد كان نهاره كله كفاح في سبيل الدعوة .. وكان معظم ليله يقضيه متعبدا .

« يا ايها المزمّل قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه ورتل القرآن ترتيلا وقوله : ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار » .

ورجل هذه حياته .. عبادة لله في الليل والنهار ، وجهاد في سبيل نشر الدعوة ، وسهر على راحة المسلمين وتوضيح مبادئ الدين لهم .. انه يعيش بالناس وللناس ، وقلبه متعلق بالله .. لا يمكن أن يكون زواجه للمتعة الجنسية ، انه كان ينفذ أوامر الله لحكمة عليا يعلمها الله كما شرحنا .. فقد كانت حياة الرسول العظيم قدوة ومثالا لكل من يريد أن يسير في طريق تحفه الآثار من كل جانب ، لانه مثال الانسان الكامل ، أو كما وصفه القرآن الكريم بأنه على خلق عظيم .

أيام الرسول الأخيرة

ما من مرة قرأت فيها شيئاً عن حياة الرسول إلا وتداعيت الى ذهني خطبة الوداع الخالدة .. وسرح خيالي الى تلك الايام المجيدة ، ايام رسول الله ، وكيف حول ظلام الجزيرة العربية الى نور ، غمر أنحاء الجزيرة في حياته ، وانطلق يعبر القارات بعد أن انتقل الى الرفيق الأعلى يبشر بالقيم العليا . طالما أضناها سنياس الاستعمار ، وجثم على أنفاسها ألوان من العبودية والهوان ، وكانت تتطلع الى يوم الخلاص ..

لقد ذهب الرسول عليه الصلاة والسلام في الثامن من ذي الحجة الى منى ، وأقام خيامه ، وصلى فروض اليوم ، ثم قضى الليل حتى مطلع الفجر من يوم الحج ، واتجه الى جبل عرفات :

وصعد الجبل وحوله آلاف المسلمين ، وحمد الله وأثنى عليه وقال :

((ايها الناس ، اسمعوا قولي ، فاني لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً .

أيها الناس ، اسمعوا قولي ، فاني لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد عامي هذا في يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا .

وانكم ستلقون ربكم فيسالكم عن اعمالكم وقد بلغت فمن كانت عنده امانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها .

وان كل ربا مهدر ، ولكن لكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون

قضى الله انه لا ربا . وان ربا عباس بن عبد المطلب مهذور كله .

وان كل دم كان في الجاهلية مهذور ، وان اول دماءكم اضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب

اما بعد . ايها الناس ، فان الشيطان قد يئس من ان يعبد بارضكم هذه ابدا ، ولكنه ان يطع فيما سوى ذلك فقد رضى مما تحقرون من اعمالكم ، فاحذروه على دينكم

ايها الناس انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرّمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم

وان الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والارض ، وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ، ثلاثة متوالية ، ورجب مفرد بين جمادى وشعبان .

اما بعد ، ايها الناس . فان لكم على نساءكم حقا ، ولهن عليكم حق ، لكم عليهن الا يوطئن فرشكم احدا تكرهونه ، وعليهن الا ياتين بفاحشة مبينة ، فان فعان فان الله قد اذن لكم ان تهجروهن في المضاجع ، وتضربوهن ضربا غير مبرح ، فان انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف . واستوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان . ولا يملكن لانفسهن شيئا . وانكم انما اخذتموهن بامانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمات الله .

فاعقوا ايها الناس قولي ، فاني قد بلغت ، وقد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا ابدا . . امرا بينا : كتاب الله وسنة رسوله .

أيها الناس ، اسمعوا قولى واعقلوه ، تعلموا ان كل مسلم اخ
للمسلم . وان المسلمين اخوة . فلا يحل لامرئ من أخيه الا ما أعطاه
عن طيب نفس منه ، فلا تظلموا أنفسكم
اللهم هل بلغت » .

و .. عندما أتم الرسول خطابه تلى قوله تعالى :
« اليوم ينس الذين كفروا من دينكم ، فلا تخشوهم واخشون
اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام
دينا »
.. وما كاد الرسول يقرأ هذه الآية حتى بكى عمر بن الخطاب
وساله الرسول :

— ما يبكيك يا عمر ؟
— أبكاني انا كنا فى زيادة ، أما اذا اكمل فانه لا يكمل شيء
الا نقص .
— صدقت ..

لقد ساد الناس صمت .. ان هذه الايات تنعى رسول الله ..
وانتقل الرسول العظيم الى الرفيق الأعلى بعد ان ادى الامانة
على اكمل وجه ، ويكفى أنه وحده جابه عالما ظالما قاسيا لايرحم ،
فحوله الى مجتمع له حضارة ، وله مثل عليا .. وله قيم يعيش
لها وبها ، وربط بين الأرض والسماء .. ان الانسان يعيش حياته
فى ظل هذا الدين العظيم ، وهو يؤمن ايمانا عميقا بخالق الأرض
والسماء وما بينهما وما تحت الثرى .. وايمانه هذا يدفعه الى ان
يسلك مع نفسه ومع مجتمعه سلوكا مستنيرا ، ويدفع الفرد الى
التراحم مع أخيه .. فقد حدد هذا الدين العلاقات بين الأفراد
بعضهم مع بعض .. وبينهم وبين أنفسهم ، وبينهم وبين الله ..

دين مثل هذا الدين العظيم لو تمسك به المؤمن ، وحافظ على
قيمه وتعاليمه فانه يعيش فى راحة نفسية . الايمان يعمر قلبه ،
والرضا بقضاء الله وقدره يجعله يعيش بعيدا عن العقد والأمراض

النفسية .. وتمسكه بتعاليمه يضيء على المجتمع حياة مستقرة سعيدة .. فالغنى يعطى الفقير ، والفقير لا يحقد على الغنى طالما قد أخذ حقه .. وفي ظل هذه الروح العظيمة تتقدم المجتمعات ، وتأخذ حظا صاعدا نحو كل ما هو أكثر اشراقا ونبلا .

.. لقد مات رسول الله ، وخرج على بن أبى طالب يقول :

— بابى أنت وأمى يا رسول الله ، لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والأنبياء وأخبار السماء ، وخصصت حتى صرت مسليا بمن سواك ، وعممت حتى صار الناس فيك سواء . ولولا أنك أمرت بالصبر ونهيت عن الجزع لانفذنا عليك ماء الشئون ، وإكان الداء مماطلا ، والكمد محالفا ، ولكنه ما لا يملك ردة ، ولا يستطيع دفعه . بابى أنت وأمى . اذكرنا عند ربك واجعلنا من بالك .

وكادت أن تحدث فتنة حينما حاول أبو سفيان بن حرب أن يشعلها عندما علم بأن أبا بكر أصبح خليفة للمسلمين .. فقال :

— وليتم على هذا الأمر أذل بيت في قريش ، أما والله لئن شئت لأملأتها على أبى فضيل خيلا ورجلا .

وهنا أوقف على بن أبى طالب هذه الفتنة ، فقد رد عليه قائلا :

— طالما غششت الاسلام وأهله فما ضررتم شيئا ! لا حاجة لنا الى خيلك ورجلك .

وأخذ أبو بكر بيعة المسلمين .. وكان والده مازال حيا وقال له الناس :

— قد ولى ابنك الخلافة .

فقرأ :

« قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء » .

وسأل أبو قحافة :

— لم ولوه ؟

قالوا :

— لسنه .

— أنا سن منه .

وكانت خلافة أبي بكر الصديق امتدادا لعصر رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فقد قضى على فتنة الردة .

ولم يغير شيئا مما سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسير الجيوش لجابهة اقوى دولتين عرفهما العالم القديم . دولتي الفرس والروم ، و .. كانت بداية النهاية لعصر نهرا وشاخ ، وبداية نشر الوية الاسلام الذى انتشر فيما بعد بسرعة البرق الى مختلف قارات الدنيا . ليقيم على انقاض العالم القديم عالما مشرقا بالنور والامل . تحدوه حضارة الاسلام الشابة التى غزت القلوب والعقول ومدت نور الاسلام الى اماكن لم تكن تخطر على البال .

هذه هى بعض المشاهد من السيرة العطرة .. سيرة سيد البشر ... الذى أخذ يدعو الى الاسلام بصلابة لا تعرف المساومة ولا انصاف الحلول .

« والله يا عماه . لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الامر ما تركته حتى يظهره الله أو اهلك دونه .

.. لقد رحل الرسول الحبيب الى الرفيق الاعلى بعد ان ملا الدنيا نورا .. وصدق القرآن الكريم :

« وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين » .

« وما كان للنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين » .

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٧	مقدمة
١٢	طفولة محمد (صلى الله عليه وسلم)
٢١	شباب محمد (صلى الله عليه وسلم)
٢٧	الرسالة
٣٣	محمد (صلى الله عليه وسلم) في الطائف
٣٦	الهجرة ومسار جديد للدعوة
٤١	معارك الاسلام الكبرى
٤٩	نساء النبي (صلى الله عليه وسلم)
٦٥	ايام الرسول الأخيرة
٧٠	فهرس الكتاب
٧١	ما رأيك

ما رأيك ؟

— وبعد يا عزيزى القارىء الكريم ...

فهذه رسالة اسلامية يقدمها لك المجلس الأعلى للشئون
الاسلامية فى الخامس عشر من كل شهر عربى ، لعلها
تحوز رضاك ، وترد على بعض الأسئلة التى تراودك ،
وتدور بخلد كل مسلم غيور على دينه ، حريص على
الاستزادة من مناهل الاسلام العذبة .

اكتب لنا برأيك فيها ، وما تراه من توجيهات تهدف أولا
وأخيرا الى خدمة أجل رسالة وأتم هدف • وثق أننا سنكون
عند حسن ظنك ، وسنلنى طلبك وستكون رسالتك موضع
الاعتبار والتقدير فنرد عليها اذا كانت حرية بذلك •
والله نسأل أن يلهمك السداد والتوفيق •

على أن يكون خطابك متضمنا البيانات التالية :

الاسم :
العنوان :
الوظيفة :

ويرسل الى المجلس الأعلى للشئون الاسلامية
القاهرة ٣ شارع الأمير قدادار متفرع من ميدان
التحرير •

(قسم الرسائل والتراث)

رقم الايداع ١٩٧٧/٢١٧٣
الترقيم الدولي . ISBN-٩٧٧-٢٤١-٣٧-

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

مكتبة الاسكندرية

مطابع الاهرام التجارية

24-

1

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جمهورية مصر العربية المجلس الأعلى للشئون الإسلامية قسم الرسائل والترات

بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز

تأليف: محمد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي المتوفى ١٢١٠ هـ
تحقيق: المرحوم الشيخ محمد النجار - الأستاذ عبد العليم الطحاوي

يعتبر الكتاب في مقصورة العلوم القرآنية ، ويعتبر ثروة فكرية إنسانية وكنزاً من كنوز العلم ، جامعاً لآثار العلوم والمعارف في عصره .
أداره مؤلفه على ما في الكتاب العزيز من لطائف جلالها في بصائر ، وضمن كل بصيرة دلائله ودقائقه . وأصبح الكتاب جملة بصائر تشتمل على تفسير القرآن الكريم كله ، بالأحكام . ولم يخل الكتاب من توجيهات تحريية ، وإشارات بالغة ، مشتملة على ما يشتمل عليه من صنوف المعارف والفوائد ..

ملء - ج

صدر في سنة أجزاء - تحت الجزء الواحد منها ٥٠٠ ر

الجزء الأول نفذ ويعد طبعه

97.63

غري

م



0361553

محمد توفيق عويضة

مراكز البيع

يشرف على إصدارها



التمن ٥ قروش